روايات

ALHAN

ألحان

الصراخ والعذاب

١٥٢

ثمن النسخة							
لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5S
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١،٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

نهض "براد" والقى "بالمنحة" على صحن فنجان القهوة .

سارا معا في صمت إلى ساحة انتظار السيارات ..

سالها في خجل :

- ولكن كيف عشت السنوات الثلاث الماضية ؟

- إنني لا أريد أن أتذكر سوى الأسبوع الذي عشته معك نطقت هذا الرد بصورة واضحة وقاطعة .همس :

- لابد أن هواء الجبال هو الذي جعلك تقولين هذا وبهذه الطريقة الروم.

- وربما أيضا الطعام والش. . . . وربما البهجة . لتعلم أن جيوب السعادة مزدوجة . وهناك أيام تكون من الضخامة بحيث يتوه الإنسان فيها .

ابتسم وفتح باب السيارة لها دون أن يفكر على الإطلاق فيما يفعله!

الغلاف الأمامي

تفاجأ رسامة كتب الأطفال الشهيرة في الساعات الأخيرة من الليل بمن يطرق بابها بشدة . وعندما تفتح تجد أمامها شابا ضخما وقويا يحمل بين ذراعيه طفلة لم تبلغ سنة من عمرها، وكيسا كبيرا من البلاستيك به حاجياتها . ثم يسلمها الطفلة في ذهول ويخبرها انها ابنة إحدى صديقاتها التي تعالج في المستشفى الذي يعمل به وتركت لها رسالة .

من هول الموقف لم تستوعب الشابة الموقف ، وعندما افاقت من ذهولها كان الشاب قد اختفى بالسرعة التي ظهر بها واعدا أنه سيعود.

عندما احتجت بانها لا تعرف صاحبة الطفلة وليست لديها أية فكرة عن تربية الأطفال وأنها ستستدعي الشرطة يظهر الشاب وينصحها بقراءة الخطاب . تكتشف الفنانة أن الخطاب من أم صغيرة تعاني

مرضا خطيرا ، وأنها لم تجد من يمكن أن تأتمن عليه طفلتها سوى الرسامة التي سبق أن حضرت إحدى قراءاتها لقصصها أمام الأطفال وأعجبت بها .

تحدث مفارقات غريبة نتيجة عدم دراية الرسامة بتربية الأطفال، ولانشغالها الشديد بعملها ولسابق زواجها زواجا فاشلا.

ويحاول الطبيب المتفاني في عمله مساعدتها .

إلى أين ستنتهي هذه المغامرات والأحداث ؟

www.elromancia.com

شخصيات الرواية

الدكتور (براد شو) "براد" : طبيب شاب متفان في عمله في قسم الطوارئ ويكرس له كل وقته .

"إيلينا ماك تريفور" : فنانة شابة تعمل في رسم كتب الأطفال .

"كيرك" : زوج "إيلينا" السابق .

"مارجو لورنس" : فتاة شابة صغيرة وفقيرة ، انجبت طفلة ولكنها تسقط مريضة لدرجة خطرة .

"بتسي" : ابنة "مارجو" في شهرها العاشر .

"تيري جرين سبان" : جارة "إيلينا" .

الفصل الأول

فزعت "إيلينا ماك تريفور" عندما انطلق رنين الجرس المزعج . فانحرفت يدها المشغولة عن مسارها ، لترسم خطا لا مكان له فوق ظهر الحمار الوحشي الذي كانت تقوم برسمه .

قررت أن تنزلق من فوق المقعد الذي تجلس عليه بينما قفزت القطة "هاريسون" قفزة رشيقة تاركة مكانها فوق المائدة في هدوء. لتلازم خطواتها .

أخذت الشابة - وهي تتجه نحو الباب - تسب وتلعن في نفسها الفتية الذين يقطنون الشقة المجاورة الذين يبدون نحوها إعجابا حقيقيا . ولذلك ياتون دائما لإزعاجها في أي ساعة بدعوى مشاهدتها وهي ترسم وتلون ، ولكن على أية حال فهذا وضع طبيعي بالنسبة للأطفال ، لم يكد يمر أسبوع منذ انتقلت للإقامة في شقتها الحالية وهي لاتزال تجهل ردود افعال الصبية الذين في سنهم ، وعادات

www.elromancia.com

الحياة في الضاحية ، وهذا لا يمنع استمرارهم على هذه الوتيرة ، ولن تستطيع أبدا أن تصل لاحترام عقدها وأن تسلم مشروعها للناشر في المهلة المحددة وتغرق بعد ذلك في عالم من الراحة .

وعليه يجب أن تنتهي من رسومات هذا الكتاب اللعين ، خصوصا عليها أن تمحو هذه البقعة اللعينة من على ظهر الحمار الوحشي .

لم يعد الزائرون من حيث جاءوا كما لم يتركوا زر الجرس اللعين. كانت "إيلينا" مصممة على أن تقص عليهم حكاية مرعبة من النوع الذي تصنعه الآن تحت يديها حتى تثبط همتهم وتجعلهم لا يرغبون في العودة إلى هذه البقعة.

فتحت الباب ... وبدلا من الوجوه التي توقعتها وهي تنظر لأسفل رأت ركبتين سمراوين بلون البرنز وتهتز بجوارهما حقيبة من البلاستيك ضخمة ملونة باللونين الأحمر والأزرق وتبرز من فتحتها مرضعة رضيع . وكانت الساقان المشار إليهما متصلتين بجسد بارز العضلات يرتدي "شورتا" من قماش الجينز حائل اللون من كثرة الاستخدام والغسيل ، وقد بدا في الحقيقة مثل سروال "برمودا" الشهير والذي بدأ استعماله في جميع أنحاء العالم ، وكان الوسط نحيفا ويرتفع على شكل مثلث قاعدته عند الكتفين . كان الجذع مغطى بـ"تي شيرت" بدا جليا أنه استهلك من كثرة الغسيل . ولكن الشيء غير الطبيعي هو أن رضيعا سمينا لون لحمه أحمر كان ملتصقا بالجذع ، وكان يرتدي ثوب حمام أصفر فاقعا وبدا الهلع عليه .

استدارت حدقتا عيني "إيلينا" واتسعتا حتى آخرهما ورفعتهما إلى أعلى حيث قابلت عينيه فوجدتهما بلون أخضر غامق حولهما رموش كثيفة داكنة .

قال الرجل ذو العينين الزمرديتين :

- صباح الخير .. هل انت "إيلينا ماك تريفور" ؟

أجابت وهي لا تجد الكلام الذي ترد به :

- نعم .

كانت بنية محدثها مثيرة . وكان الشكل المثير للضحك هو الحمل الضئيل الذي يحمله على صدره مما جعلها تفقد القدرة على الكلام .

قال محدثها :

- لقد مرت ساعات وأنا أدور وألف في حلقة مفرغة في الحي ! أنا "برادشو" وأنا طبيب في مستشفى هذه المدينة .

ظلت "إيلينا" عاجزة عن الكلام فقال :

- إن "مارجو لورنس" موجودة حاليا تحت رعايتي الصحية . وهذه هي طفلتها . لقد أبدت مريضتي رغبتها أن تقومي بالعناية بها ورعايتها .. أقدم لك "بتسي" .. ولكن خذي حذرك لأنها مبتلة .

مد لها ذراعيه بالطفلة وفتحت الشابة بطريقة غريزية ذراعيها ، لتدرك في الحال أن الطبيب الطيب كان على حق بالنسبة لتحذيره.

وضع الطبيب الحقيبة البلاستيكية الكبيرة عند قدميها . صاحت "إيلينا" وهي مذهولة :

- أوه ! انتظر ! عُد ! اشرح لي ! وما دخلي بهذا ؟ ثم من هي ؟

- إنها طفلة صغيرة .. ألا تفهمين ؟ إن سنها أحد عشر شهرا. هل كان من الواجب إخبارك بالأمر ؟ أوه ! هل نسيت المكالمة التليفونية ؟ أوه ... عندي أيضا رسالة من طرف أم الطفلة . خذي. أخرج ظرفا من جيب "الشورت" وأكمل :

- بهذه الرسالة ستفهمين أفضل .. هيا لابد أن أسرع بالعودة.

ظلت "إيلينا" في ذهولها من لحظة رنين الجرس .. وأخذت تتابعه بناظريها وهو يبتعد في الممر بخطوات سباق الجري ويدخل سيارة

www.elromancia.com

بلون أخضر عتيقة الطراز . صاح قبل أن يغلق الباب :

- ساعود قريبا وحتى ذلك الوقت لا تقلقي كثيرا .

صرخت إطارات السيارة وهي تنطلق فوق الحصى وسرعان ما دارت في الملف التالي وهي ترسل كتلة من الدخان الأزرق دليل إنهاك المحرك.

اختفت المركبة وراكبها كما ظهرا . اعتقدت "إيلينا" أنها ضحية عمل سحري لولا هذه الكتلة من اللحم التي تزن عشرة كيلو جرامات والتي تتأرجح على جانبها .

تنهدت .. ما الذي ستفعله الآن ؟ هل تتصل بالشرطة وتتهم ذلك المخلوق بهجر الطفل ؟ أم تفكر بهدوء أعصاب وتحاول حل هذا اللغز ؟ أم تتظاهر بأن هذه الطفلة وصلت عن طريق معجزة على جناحي بجعة؟ ولكن لم لا ؟

إن ذلك الذي يدعي أنه طبيب يبدو معجزة برقبته الضخمة ومشيته المهتزة .. لا .. إن الرجل غبي وشرير . إنه ضخم وعريض حقا وهيئته البدنية خارج المألوف . تغنغت الرضيعة "بتسي" المرضعة وهي تقطع حبل أفكارها .

- ما .. ما .. ؟

- أحست "إيلينا" بيد دافئة تربت وجهها ثم تتوغل في شعرها وكأنها تحاول إسعادها .

تخلصت من اليد برقة وأخذت تنظر في حنان شديد إلى الوجه المحبوب الصغير حيث كانت لا تزال تثغنغ المرضعة . كان لها فم ممطوط صغير وعينان مستديرتان زرقاوان بدرجة لا تصدق وغطاء من زغب ذهبي فوق الجمجمة . من الواضح أن الرجل الأسمر البرنزي ذا البشرة الخشنة لا يمكن أن يكون هو الأب . ولكن إذن من هي ؟ ومن أين أنت ؟

كانت "بتسي" تضحك في هذه اللحظة وهي مبتسمة من شيء يعلمه الله . وتخرج الضحكة من فم لا يزيد عن حجم ثمرة الكريز . انطلقت "إيلينا" في الضحك وطبعت قبلة على خدها :

همست في أذن الرضيعة :

- أنت ! إن الأمر سينتهي بي إلى معرفة من أين خرجت لي ! وحتى يحدث ذلك لابد أن تتذرعي بالصبر .

صاح أحد "جيران" "إيلينا" الصغار موجها الحديث لأخيه وهما ملتصقان بالناحية الأخرى من السور - انظر ! انظر ! إن الآنسة "ماك تريفور" وضعت طفلا هذه الليلة .. هل يمكن أن نذهب لنلعب معه ؟

كان السؤال من الصغير "بيتي" الذي قاطعه شقيقه الأكبر :

- لا .. هذا مستحيل . أنت ترى جيدا أنها فتاة .

لوى الآخر فمه امتعاضا واختفيا معا بسرعة وكأنهما يخشيان أن يوسخا أصابعهما .

حمدت "إيلينا" السماء لأنها خلصتها من وجود هذين الوحشين وعادت للداخل . كانت تريد أن تعرف بشدة محتوى الرسالة التي أعطاها إياها ذلك المخلوق الغريب . وضعت الطفلة وسط قاعة المعيشة وقد أحاطتها بساقيها ووجدت "بتسي" نفسها جالسة بالمقلوب وقد بدت عليها الدهشة . قالت "إيلينا" التي تواجه لأول مرة مثل هذا الموقف : "لابد أن جسمها مصنوع من المطاط .. أم هل من الممكن أن تكون كسيحة ؟ ولماذا تتأوه بهذه الطريقة والقطة التي كانت مذعورة أصدرت ضجة تسمعها "إيلينا" لأول مرة وأخذت تحوم حول ذلك الشيء الموضوع على الأرض وقد مدت يديها مثل حيوان نجمة البحر محاولة الإمساك بذيلها . كانت القطة "هاريسون" دهشة وتركت الطفلة تفعل ما تشاء ثم بدأت تتمسح بفروها في بطن وذقن تلك اللعبة غير

www.elromancia.com

المألوفة بالنسبة لها . أحست "بتسي" مع من تتعامل ودست أنفها في فراء القطة الناعم وبدا وكأن مواء القطة بمثابة دغدغة لها يدفعها إلى مزيد من ثغثغة المرضعة .

كانت "إيلينا" تتابع المشهد المؤثر عندما نزعت نفسها من تأملاتها واستعدت لفتح الخطاب . كم كانت دهشتها عندما وجدت أعلى الخطاب على اليسار شعار شركة التليفونات . وقد تأكدت الهواجس التي اجتاحتها في الحال . كان الخطاب يخص قائمة بالاتصالات التليفونية مع تفاصيل فاتورة الحساب وعلمت "إيلينا" بذلك أن المشترك في الخدمة التليفونية "برادشو" قام بإجراء عدد كبير من المكالمات إلى "بافالو" وذلك في أثناء ساعات العمل . لا شك أن المعلومات مثيرة ... وليس لها دون شك أية صلة بالأحداث التي تشغل بال الشابة .

فجأة سمعت صراخا هادرا جعلها تسقط الإخطار الرسمي وتندفع نحو المكان الذي من المفروض أن حدثت به كارثة . لم تعد "بتسي" في المكان الذي تركتها فيه وراتها على بعد خطوتين من النافذة وقد سقطت أصص الصبار على قدميها ، ويداها مملوءتان بالشوك والطين في شعرها والعينان مغرورقتان بالدموع .

- يا كنزي ! يا إلهي ! ولكن ماذا فعلت ؟ أريني يديك .. ليس بك شيء ؟ لا .. لا تبكي .. ليس في الأمر شيء سوى خدوش بسيطة .

أخذت "إيلينا" تنفخ في راحتي يدي "بتسي" المتألمة وهي تتأوه ، بينما الصغيرة تصرخ وترفس بقوة مضاعفة .

قالت الشابة بلهجة أكثر خشونة :

والآن كفي عن هذا الصخب . أترين في أي حالة أصبحت النباتات بسببك ؟ لقد فاض بي الكيل منك ! ثم ما هذا السلوك ؟ هل تظنين أنني

ساقوم بإصلاح كل حماقاتك ! لقد بدأت تزعجينني بدرجة خطيرة .. هل تسمعينني ؟

كان كل رد "بتسي" على كل هذه المحاضرة أن ابتلعت نشيجها ولوت فمها بطريقة لا تقاوم .

اعترفت "إيلينا" بالهزيمة وحملتها بين ذراعيها حتى حجرة الحمام. قالت لها بلهجة أقل حدة :

- ما رأيك في أن ننظف قليلا ؟ إن قذارتك ليست سطحية .. أليس كذلك ؟

قامت بقياس درجة حرارة الماء وبينما كان البانيو يمتلئ بدأت تخلع ملابس الطفلة التي بدت سعيدة تحرك أعضاءها في جميع الاتجاهات وهي تزقزق كالعصفور بأعلى صوتها .

همست "إيلينا" :

- هل تعرفين أنك قابلة للكسر ؟ كما أنني اكتشفت أنك أصغر من "عقلة الإصبع" الذي هبط على امرأة غريبة .

كانت "بتسي" تضحك كالملائكة ويبدو أنها وصلت إلى أقصى درجات البهجة عندما بدأ الماء يدغدغها ، كانت تضرب الماء بيديها وقدميها ثم غطست في لمح البصر . صرخت الشابة وشحب وجهها وأمسكت بالصغيرة ، ثم وضعت يدها بحركة غريزية تحت الذقن الضئيل وهي تلعن طيشها . لم يخطر ببالها أن تلاحظ مستوى عمق الماء في البانيو، ونتيجة لهذا الخطأ اضطرت الطفلة المسكينة لممارسة أول درس لها في الغطس .. تنهدت :

- لحسن الحظ أنك بصحة جيدة ولكن يجب أن تمنحيني بعض الوقت لأتعلم كيف أعتني بك .

أخذت تمسح بطرف المنشفة قطرات الماء من وجه الطفلة ثم رفعت

www.elromancia.com

سدادة البانيو إلى أن أصبح مستوى الماء يسمح بجلوس "بتسي" بأمان.

وسارت الأمور بعد ذلك على ما يرام . ولكن عندما أرادت بعد بضع دقائق إخراجها تعقدت الأمور بطريقة غريبة بسبب الصراخ والنشيج.

بدأت تلك المخلوقة الساحرة في التلوي مثل السمكة في الصنارة تحاول الإفلات وأخذت تضرب بيديها كتفي المربية الشريرة رغم أنفها، ولم تقبل أن تهدأ إلا عندما أحست بقماش البشكير الخاص بروب الاستحمام على جسدها ثم رضيت أن تهدهدها على الأقل بصفة مؤقتة. لأنه بعد فترة وجيزة بدأت الصرخات الثاقبة تتضاعف ، نفخت "إيلينا" في الهواء ضيقا وهي على استعداد لمغادرة حفل الصراخ والعذاب . وضعت الشابة - وهي في حالة ميؤوس منها - الطفلة على الأرض وتركت الأمر ، وفي نفسها أن تقوم القطة بالمهمة . لم تحقق "هاريسون" أي نجاح . صرخت :

- وبعد ! ماذا جرى لك ؟ ألا يعجبك المكان ؟

ماذا تريدين بالضبط ؟

- فجأة تذكرت "إيلينا" المرضعة التي لازالت في الكيس .

- أم أنك جائعة .. أليس كذلك ؟

يبدو أنها نطقت بالكلمة السحرية لأن "بتسي" . سكتت ثم مدت فمها مفتوحا للأمام . في الحال قبضت الشفتان في لهفة على المرضعة وأخذت تمضغها بشراهة . ولم تتركها قط .

جلست "إيلينا" على الأريكة وقد ثنت ساقيها تحتها وأخذتها على حجرها حيث أخذت تهدهدها . كانت "بتسي" تستنشق الهواء والمرضعة في فمها لا تريد أن تخرجها . همست الشابة وهي مبهورة رغما عنها :

- لدي إحساس أنني سأحبك بسرعة يا قطيطة .

كانت "إيلينا" تفكر في ذلك بصدق ودهشت هي من رد فعلها غير المتوقع . عندما كانت أصغر في السن كانت تشتهي مثل أي امرأة أن يكون لها أطفال في يوم من الأيام . ولكن "كيرك" لم يرغب في ذلك وهو يقول : إنهما سيفكران في ذلك فيما بعد . وكان يدعي أنهما لن يكونا والدين صالحين للأبوة . ومر الوقت وظل لدى الشابة الأمل الذي لم يتحقق وأصبح الصبر القاعدة الذهبية عندها . وهي تعرف "كيرك" جيدا . بما يجعلها تأمل خيرا من الاعتراض على مشروعاته .

على أية حال ربما كان على حق في شكه في قدراتها كأم فإن حادثة البانيو أثبتت لها من دقائق أنها لا تملك ذرة من حسن الحكم على الأمور ، والأدهى من ذلك أنها تفتقد روح الأمومة .

نامت "بتسي" على حجرها وتساءلت "إيلينا" مرة أخرى : ما الذي يجب أن تفعله ؟ كانت الطفلة النظيفة لازالت شبه عارية خاصة في الجزء الأسفل وخوفا من أن تحدث كارثة رأت أن تضع لها حفاضة . بحثت في الحقيبة البلاستيكية التي تحوي أقل قدر من أدوات الزينة. وبين مختلف القطع اكتشفت كتابا مجلدا ذكرها في الحال بحادثة معينة . رأت على الغلاف اسمها كاملا ، أحست بالدفء يغزو قلبها . لقد رسمت العديد من هذه الكتب ولكن في كل مرة يقع بصرها على أحدها لا تستطيع أن تكتم سعادتها وفرحتها عند فكرة أن الأطفال يقلبون صفحاته في سعادة أمام الصور الجميلة التي رسمتها .

انتهت من إلباس الطفلة ولم تجد صعوبة في إلباسها البيجاما . حين أتمت الشابة هذه المهمة بدأت تحس القلق يعود إليها وتساءلت: ما الذي سيحدث الآن ؟ وإذا كان الرجل ذو فاتورة التليفون مجرد خاطف أطفال . وإذا كان قد استخدمها دون إرادتها كأداة لهذا

www.elromancia.com

الاختطاف . فهل يمكن أن يكون ذلك المخلوق هاربا من مستشفى الامراض العقلية ؟ إنه يدعي أنه طبيب ... على أي حال هذا النوع من الحيل يستخدم كثيرا في هذه الأيام . ومن المحتمل أنه انتحل شخصية رجل آخر وسرق منه فاتورة التليفون ...

ليست هناك سوى وسيلة وحيدة لإزالة شكوكها هي إبلاغ الشرطة.

رفعت "إيلينا" سماعة التليفون ثم أعادتها في الحال . إن الخط لم يعد بعد فصله . لقد وعدها رجال شركة الاتصالات بإعادة الخط للخدمة قريبا وربما في اليوم التالي عادت إليها في الحال صورة الغريب بوضوح تام . إنه يصلح للتصوير للدعاية . كان طويل القامة أكثر من المتوسط وكانت بنيته بنية بطل رياضي. وكان جذعه متناسقا ونحيلا ووجهه لطيفا ربما لا يمثل الجمال الكلاسيكي التقليدي ولكن به شيئا خاصا وفريدا للغاية وساحرا .

زفرت "إيلينا" . منذ انفصالها عن "كيرك" لم يجذب انتباهها رجل ، ودهشت اليوم من أن هذا الانتباه استيقظ داخلها أمام ذلك المدعو "برادشو" والذي رأته ولم تمعن النظر فيه .

كان من المثير للضيق عندها ، عدم استطاعتها محو منظر عينيه الخضراوين الجميلتين الضاحكتين وبالأخص عمقهما الشديد . إنهما عينان ثاقبتان تكشفان عن ذكاء حاد . وهما عينان منتبهتان دائما في تساؤل واستطلاع ، ويمكن بنظرة واحدة انتزاع روحها .

لقد ركزتا على عينيها .

هكذا في المواجهة وبدا بريقهما صريحا للغاية حتى أصبح من المستحيل الشك في أن صاحبهما مقتحم أو خاطف أطفال .

أحست "إيلينا" فجاة برغبة في أن تثق به . ثم إنه من الإجرام أن توقظ هذا الملاك النائم على ركبتيها وتفزعه بوصول رجال الشرطة أو

وصول أحد الإخصائيين الاجتماعيين .

رفعت "إيلينا" الطفلة بكل حذر وذهبت إلى حجرتها . خلعت نعليها وتمددت بجوارها فوق السرير . تدحرج جسم الطفلة الضئيل واستقر في تجويف بطنها . كانت الطفلة تتنفس في هدوء وسكينة وقلدتها القطة في الحال حيث استغرقت في النوم بدورها ودست رأسها في الوسادة وقد نفشت فروها .

انتزعتها رنة جرس من غفوتها القصيرة قامت وعيناها نصف مغمضتين وهي تتثاءب واتجهت على أطراف أصابع قدميها وسط الحجرة الغارقة في الظلام وتساءلت : ولكن كم الساعة الآن ؟ قالت لربيبتها وكأنها منومة مغناطيسيا :

- عليك أن تبقي في مكانك ولا تتحركي .. من المحتمل أن يكون طبيبك عاد ليستردك .

رفعت المزلاج ووجدت نفسها وجها لوجه مع الزائر الذي كان يحمل تحت ذراعه حملا رهيبا من البلاستيك والكروم ولو استمر دقيقة أخرى لانهار فوق حمولته . قال وهو يضع حمولته على الأرض :

- هذا هو السرير .

بنظرة خاطفة اكتشفت "إيلينا" أن العينين الخضراوين فقدتا مرحهما وبهجتهما وأن اللون البرنزي لبشرته تحول إلى رمادي من تأثير التعب .

كان الفم مجعدا والكتفان متهدلتين من الحمولة الثقيلة ثم ألقى عليها نظرة غامضة لا تبشر بخير . أحست فجاة بتعاطف مثل الذي أحسته نحو الطفلة "بتسي" ولكن هذا الشعور كان سانجا وغير منطقي، وقد ارتعبت من عمق هذه المشاعر .

كانت واقفة على بعد خطوتين منه وقد مدت يدها استعدادا

لمصافحته . ولما لم يحاول الاقتراب منها وجدت أن من الأفضل أن تساله عما به ولكنه اكتفى بأن رفع رأسه نحوها وهو يوشك أن يتوسل إليها وكأنه ينتظر حدوث معجزة لتخرجه من محنته .

هز "برادشو" رأسه وهو فريسة تعب ممض . ترك السرير المنطبق في الدهليز وهبط الدرجات الثلاث الخاصة بالمدخل في ثقل وكأنه يخشى أن يخطو خطوة خطأ وينهار . أعطاها إيحاء بأنه يعوم في بنطلونه الرصاصي وقميصه الأصفر ذي الكمين الطويلين والياقة المفتوحة ومنها يتدلى رباط عنق مكرمش ومبلل بالعرق . ومحلول العقد .

راته "إيلينا" تحت هالة ضوء الفانوس في المدخل ، وهو ينحني داخل السيارة "الفان" ، ثم يخرج منها أرجوحة ودبا من القماش القطيفة ثم سار إلى الاتجاه العكسي ووقف ، وعاد ناحية السيارة ثم عاود السير نحو البيت . ثم سار في الطريق العكسي ووقف ، وعاد مرة أخرى نحو البيت ، حاملا شيئا لم تستطع الشابة التعرف عليه . وعندما فهمت أنه غطاء عرفت في الحال أن هذا الرجل لديه نية أن يجعل "بتسي" تقيم عندها . ولكن بأي حق ؟ صاحت وقد خرجت عن وعيها :

- هل يمكن أن تتصور بأي حال من الأحوال أنني سادعك تفعل ما تفعله ؟

بدت عليه الدهشة ومر من أمامها دون أن يعتذر وكان شيئا لم يكن . فرد الغطاء واستند على الجدار وهو يغلق عينيه . لابد بأي ثمن أن تهزه وإلا نام في مكانه بحالته وهو واقف . أمسكت بذراعه وأحست في الحال عضلاته الفولاذية تنقبض . كان جلده ساخنا تحت القماش والأصابع ناعمة ورقيقة . هذه اللمسة السريعة غير المتوقعة أزعجتها

دون أي تفسير .

فتح عينيه وبدا وكأنه يشاركها نفس الانفعال وأنه يريد أن يعطيها ردا ووضع يده فوق يد الشابة . كان الضغط رقيقا للغاية حتى إنهما ظلا هكذا وقتا طويلا ولا يريدان أن يقطعا هذه اللحظات الخالدة . ثم أفاقت "إيلينا" إلى نفسها ونزعت يدها بحركة مباغتة وتراجعت للخلف.

قالت وهي تحاول أن تسترد أنفاسها :

- لا مجال هنا للمناقشة في أنني لن احتفظ بهذه الأشياء عندي. لابد أنك أخطأت العنوان . هل فهمت ؟ إن هذه الحكاية جنون مطبق !

في تلك اللحظة جاءت ضجة مكتومة من حجرتها تبعها سكون قصير تحول في الحال إلى صرخات عارمة . اندفع الاثنان .

كانت "بتسي" قد سقطت على أم رأسها فوق السجادة وكانت في حالة ذهول واضح . كانت "هاريسون" قد رفعت ذيلها "كإيريال" السيارة وقوست ظهرها وأصبحت كالكرة وهي تدور حول الطفلة وتموء في يأس .

احتضنت "إيلينا" الطفلة على صدرها وابعدت القطة بسرعة وهي تصيح فيها .

- اذهبي عليك اللعنة .. هل ترين الضرر الذي فعلته . إنها غلطتك وإلا لظلت ساكنة !

ابتسم "برادشو" في تهكم وقال :

- أتعتقدين حقا أن طفلة في الشهر الحادي عشر من عمرها يمكن أن تنفذ تعليماتك ؟

تظاهرت بعدم سماعه واخذت تهدهد الصغيرة بعنف ، تلمس مفاصل يدي وساقي الطفلة بعنف . قال لها الطبيب :

www.elromancia.com

- هل يمكن أن أعرف ماذا تفعلين على الأقل ؟

- إنني اتاكد من أن شيئا لم ينكسر فيها . ثم يثير دهشتي انك لم تسارع بفحصها .. على اية حال إنه ضمن قسم "ابو قراط" وشرف المهنة . اليس كذلك ؟

نظرت إليه نظرة متشككة فضحك وقال :

- إذن قولي لي : ماذا يمكن أن تفعلي في حالة وجود كسر ؟

اخذت "إيلينا" على غرة . إنها لا تحب أبدا أحوال هذا الدكتور المزعوم الذي ظلت يداه مغلقتين بجانبه - والأدهى من ذلك وأمر - أنه سمح لنفسه أن ينتقدها .

قررت أن تتجاهله وأن تقوم هي بالمبادرة وتستدعي سيارة إسعاف . استمرت فترة تنادي الفتاة الصغيرة وهي مستمرة في فحصها وعندما ادارتها في جميع الاتجاهات وفحصت ما تحت القماش أدركت انه لا داعي للخوف من حدوث اذى ، وأنه في اليوم التالي سيختفي كل الم ، وان مداعبة وهدهدة لطيفة هي أحسن علاج .

وقف "برادشو" عند نهاية السرير يتاملها في صمت . كانت بنيته الضخمة واضحة الحدود وسط الضوء الخافت ، وبدا وكأن جسده الفارع قد غزا المكان .

جلس فوق الغطاء وسارعت الطفلة باللجوء إليه وهي تنقلب كالكرة مثل قطيطة . لحقت بها "إيلينا" بحركة غريزية وتعثرت لتستند على كتفه القوية . نجحت "بتسي" في أن تندس بينهما وقد ثنت ساقيها بينما كانت رقبتها مكبوسة . تاوهت "إيلينا" :

- انتبه . إنها بهذه الطريقة وهي محشورة يمكن أن تكسر عمودها الفقاري خاصة بعد تلك السقطة .

قال بصوت منخفض :

- لا تخافي .. إن الأطفال من الليونة مثل المطاط وهم ليسوا ضعفاء وأجسادهم ليست هشة كما يعتقد الناس . على أية حال لو حدث لها اي ضرر فإن طريقتك في رفع الضرر يمكن أن تحولها إلى عاجزة .

سكت ثم أضاف :

- وكما ترين فهي في صحة جيدة وحالة ممتازة .

ثم همس وهو يدس انفه في عنق "بتسي" :

- الست كذلك يا انسة ؟

كانت الطفلة الصغيرة قد خضعت تماما لتاثيره واخذ يلاغيها بطريقة جعلتها تنطلق في ضحكات رنانة ولكن بعد لحظة امتلأت عيناها بالدموع وانطلقت في الصراخ وكانهم يحرقونها حية .

قالت "إيلينا" بصوت هادئ :

- أعتقد انها تعاني الألم الرهيب ...

- تشخيص اخر خاطئ ... هذه الطفلة تبدو عليها كل أعراض الجوع ! إنها تمص إبهامها . ومن الأفضل أن تسخني إناء صغيرا ... إنه دور المراة على اية حال .

ردت عليه بهز كتفيها ثم قالت :

- هذا أمر سهل ... ثم إن هذه المتشردة ليست ابنتي .

www.elromancia.com

الفصل الثاني

أخذت "إيلينا" في أعماقها تسب هذا الرجل وتلعنه ، والذي يبدو أنه يعرف كل شيء حول أعمال المرضعات ، والذي بلغت به الصفاقة أن يصدر إليها أمرا بأن تقوم بهذه المهمة بالذات ، لاحظ "برادشو" مزاجها العكر فقال :

- حسنا .. ساقوم بإعداد ما تاكله ولكن في اثناء ذلك حاولي على الأقل أن تغيري لها حفاضتها .

وافقت بحركة من رأسها وهي تلعن المبدأ الذي فرض بموجبه على النساء أن يقمن بكل الأعمال القذرة بالنسبة للطفل . على اية حال إنها لا تستطيع أن تترك "بتسي" مبتلة وسط ملابسها .

حين انتهت من العملية أعادت ربط أزرار البيجامة الصغيرة وأخذت الطفلة المنتعشة بين ذراعيها وبشرتها مثل الورد تشع نظافة .

عبرت "بتسي" عن بهجتها بالحياة بأن دست قبضتها الدافئة في

شعرها . وضعتها على الأرض بعد أن تاكدت من عدم وجود أي عقبة في متناول يدها وبحركة آلية اعادت ضبط خصلة شعرها.

كان من المهم عندها أن تستعيد مظهرها العادي وأن تستعد لمواجهة ذلك الذي يحدث ضجة وهو يعمل في المطبخ .

تحول الشيء المصنوع من البلاستيك والكروم إلى مقعد عال أمامه صينية . أخذ "برادشو" الطفلة ووضعها في المقعد وثبت الحواجز حتى لا تقع . ثم أخرج من الفرن الكهربي الصغير وعاء من الماء المغلي وسطه إناء من الزجاج بداخله خليط بلون برتقالي غامق . سألته "إيلينا" :

- ما هذا ؟

- عجينة جزر باللحم .

- ربما كانت تفضل سندويتشا دسما .

حدجها "برادشو" دون أن يقول شيئا ثم فتح الغطاء بواسطة ملعقة . بعد ذلك جس المحتوى ليتاكد من أنه ليس حارا اكثر من اللازم . كانت "بتسي" في حالة إثارة كاملة وهي تحرك أنفها وترفس برجليها . وكان الشاب المرضع يقدم لها الملعقة . فتحت الطفلة فما يشبه فرنا صغيرا وابتلعت محتوى الملعقة في الحال وأغلقت فمها . استمرت العملية هكذا بانتظام بندول الساعة . وفي كل مرة كانت الطفلة تمد رقبتها ثم تمص وهي تبتلع الطعام في تلذذ وبدا أن الطبيب الطيب كان مضطرا لتقليد كل حركاتها .

"إيلينا" لم يسبق لها أن حضرت مثل هذا المشهد من قبل وانهمكت في متابعته ، وانتهى بها الأمر أن انفجرت في الضحك . كف "برادشو" في الحال عن مهمته . قال لها :

- هل يمكن أن تشاركينا في الضحك ؟

www.elromancia.com

- من المضحك والغريب مشاهدة كليكما ! إنكما تشبهان نسناسا وابنه . إن أفعالكما تشبه حركاتهما .

رد وهو متضايق :

- لقد اشتط بك الخيال .

ظلت الملعقة تتابع حركتها الآلية بضع دقائق اخرى في الذهاب والإياب دون أن يتغير شيء في ملامح "برادشو" الثابتة .

ولكنه في اللحظات الأخيرة فتح فمه نصف فتحة .

قالت في فزع :

- ما الذي قلته لك ؟ إن المشهد أصبح عملية تقليد بطريقة التمثيل الصامت ... إن ذاك الشبل من هذا الأسد يا سيدي العزيز...

- انت تعرفين جيدا انه لا صلة لي على الإطلاق بها . ثم إنه رغم مزاحك الثقيل . فإنني أسمح لك بأن تناديني باسمي المجرد.

- بشرط أن تخبرني به .

- بالنسبة للأحوال المدنية فهو "برنت" اما في المستشفى فالكل يناديني "براد" والأمر بالنسبة لي سيان وبالمناسبة انا آسف لما حدث حالا ؛ فقد هربت كاللص وتركت "بتسي" بين ذراعيك ولكني كنت في وردية كما انني اضعت وقتا طويلا في العثور عليك .

قالت له بلهجة توضح شكها في كلام محدثها :

- ما مهنتك بالضبط .. ؟

- انا اعمل في خدمة الطوارئ وانا اقدم طبيب مقيم في الفريق.

امسك إناء آخر واخذ يتذوقه بصوت مرتفع سالته "إيلينا" وهي تراه يلتهم كمية كبيرة :

- الم يسبق لك أن سخنته ؟

- اعتقد انه لا داعي للتسخين بالنسبة "لكمبوت" الخوخ ...

- بسبب شراهتك فإنك ستحرم الطفلة من التحلية .

- يمكنها أن تشاركني في جزء منها .. أليس كذلك ؟ هل رأيت صمتها ؟.. إنها في كامل عافيتها . واعتقد أن عافيتها هي السبب في أن أمها أنهكت .

لا شك انها حرمت نفسها من الكثير من أجلها .

أخذت "بتسي" تاكل في رزانة بينما ظل "براد" صامتا . يبدو أنه يأخذ عمله مأخذ الجد . قالت "إيلينا" لتقطع حبل الصمت والقت السؤال الذي كان يحرق شفتيها والذي قد يوضح الغموض:

- ما الذي حدث لأمها ؟

- من الصعب القول عن السبب بدقة .. لقد سقطت اليوم وهي سائرة في الطريق هكذا ودون سبب ظاهر وقد حملها عمال محطة البنزين مباشرة إلينا . لقد أخذنا منها ابنتها كما هو واضح . وتلك الأم صغيرة جدا .. هل تعرفين هذا ؟ وحسب ما استطاعت النطق بها فقد عانت الأمرين بسبب الحمل في تلك المسكينة .

تجرأت الشابة وسالته :

- هل أنت حقا طبيب ؟

- هذا على الأقل ما هو مكتوب في شهادتي . ولكني أصارحك القول: إنني في أحيان كثيرة أشك في ذلك .

- ليس من اللياقة أن أسالك هذا السؤال . لماذا تظن هذا الظن؟

قال ببرود وعيناه هائمتان في الفراغ :

- لأن بعض المرضى يموتون .. هذا هو السبب .

أحست "بتسي" بنفاد الصبر وانتهزت الفرصة لتنفخ في ملعقتها ثم بحركة نشيطة من يدها أرسلت الإناء ليقع على الأرض ويتكسر .

كانت هذه الحركة في وقتها حيث مكنت الشابة من أن تنزع عينيها

www.elromancia.com

من ذلك الوجه الشاحب جدا والذي بدا فجاة متوترا . جمعت القطع المتكسرة من الإناء ومسحت بقايا "الكمبوت" الذي تناثر نتيجة نزوة الصغيرة . لم تستطع مواجهته إلا بعد فترة :

- أعتقد أن ذلك لا يحدث كثيرا . اقصد حالات الوفاة .

اعترف وهو يمسك بيدها لأنها أعفته من عبء إزالة آثار نزوة الصغيرة :

- فعلا . إن مرضاي ينتظرون مني أن أكون قويا وكذلك يفعل زملائي . ولكن كيف يمكن ألا أبالي بهذه الآلام ؟ عندما اشتركت في هذه التمثيلية لم أكن قد أدركت أن الوقت فات بالنسبة للتراجع...

- ولماذا تقول هذا ؟

كان صوت "إيلينا" رقيقا للغاية حتى إن "براد" اضطرب أمامه . لقد بدا الأمر وكأنها بهذه العبارة البسيطة أظهرت له كيف تأثرت بهذا الاعتراف من جانبه وكيف أنها تحاول جاهدة أن تفهمه . أحس بأصابع الشابة الرقيقة تحت يده ، وزاد ذلك تأجج الاضطراب اللذيذ الذي اجتاحه ، لقد مر وقت طويل لم يشعر فيه بمثل هذا الشعور .

- لقد كنت طبيبا حربيا . ولم تكن لي قيمة كبيرة . بعد ذلك خرجت من ذلك العالم واستأنفت دراساتي . ولكن الآن أجد نفسي وأنا في الخامسة والثلاثين من عمري تقريبا مع فتية لم يتجاوزوا سن العشرين . وغالبا ما يكون من الصعوبة أن أعيش تلك الحياة. وأحيانا أقول لنفسي : إنه كان من الواجب علي أن أظل في الجيش . على الأقل كان سيجنبني العناية بأمهات يمتن من القلق.

كان "براد" يتكلم بقلب مفتوح وفي ثقة تامة .

- ربما كنت على حق ... ولكن لا تنس أنه مع مرضى من الذين تعالجهم حاليا فإنك تتبوأ المكان الذي تستحقه حقا . من المهم جدا أن

تساعدهم .

قال وهو يخفض رأسه ويربت يدها الحانية :

- هل تؤمنين بذلك حقا ؟

- قص علي حكاية أم "بتسي" !

كانت في حالة سيئة . وكانت كل كلماتها عن ابنتها . وبعدها سقطت فيما يشبه الغيبوبة أو بمعنى أصح غيبوبة . إن جهازها العصبي يعمل بطريقة مدهشة ولا نعلم حتى الآن ماذا نصنع لإخراجها من غيبوبتها . والافتراض الأكثر قبولا هو أنها مصابة بعدوى متطورة ويجب تحديد نوع الڤيروس والآن هي في العناية المركزة وتعالج بالمضادات الحيوية وقد وضعناها في حجرة معقمة وأتعشم أن تتحمل الصدمة ومع ذلك لازالت لدي شكوك .

توقف "براد" وكأن صوته احتبس في حلقه . مرر كفه على وجهه ونهض واتجه إلى حوض المطبخ وقال :

- اعذريني ولكني منهك القوى .

- ودون شك أنت جوعان أيضا ؟

- لا .. أعتقد أنني سأذهب لأنام وقبل ذلك سأمد لك يد المساعدة لإعداد سرير الطفلة .

ظلت "إيلينا" في مكانها تراقب الرجل ذا القميص الأصفر وقماشه مشدود على كتفيه العريضتين وإن بدت كتفاه وقد تهدلتا بعض الشيء من تأثير التعب . ألقت الشابة نظرة على الجانب الآخر ورأت "بتسي" التي تحاول المستحيل حتى تبقي عينيها مفتوحتين . ولم تتأخر في الاستغراق في نعاس عميق . كانت إغفاءة غير كافية ، استيقظت فقط تحت تأثير الجوع .

عندما نظرت الشابة إليهما لم يطاوعها قلبها أن تتركهما لمصيرهما .

إنها تشفق على هذه الطفلة المحرومة من الأم وعلى هذا الطبيب المطحون . إنها ستؤوي الطفلة هذه الليلة حتى تجعل الطبيب يتخلص من متاعبه ولكن لا .. إن ذلك مستحيل . ثم ما وضع عملها في كل هذا ؟ وكيف ستتمكن من إنهاء عملها إذا كان عليها أن تعنى بهذه الشيطانة ؟ إنها في حاجة لأن تكون يداها خاليتين والعقل بدون هموم أو قلق وهذا قرار لارجعة فيه .

قالت فجاة :

- اسمع !

أدار رأسه وواجهها وهو يتاملها بإمعان وأحست "إيلينا" أن شجاعتها تخونها .

- أوه .. حسنا يا "براد" هذا هو الأمر .. إنني ليس من الممكن أن أحتفظ بـ"بتسي" في بيتي لأنني لا أستطيع التصرف مع الأطفال والأمر واضح ببساطة في أنه قد مرت خمس دقائق منذ قرعت جرس بابي حتى امتلأ فمها بالطين ، ثم أوشكت أن أغرقها في البانيو وقد أمكنك أن ترى بنفسك أنني كنت مثيرة للضحك عندما غرست أنفها في الموكيت .

- لقد أصبت بالذعر .. هذا كل ما هناك ، وهو أمر عادي في البداية ولكنك ستكتشفين أن الصغار يتصرفون بانفسهم في سبيل حياتهم وتحمل كل شيء . ثم إنك ستشعرين بالعار لو رفضت لأن أمها قد اختارتك وصية مؤقتة بها .

- لدي إحساس بانك لا تدري أي شيء . إنني أجهل تماما هذه المراة. وربما خلطت بيني وبين شخص آخر . وربما لست الوحيدة التي اسمها "إيلينا ماك تريفور" في المدينة وهذا كثير الحدوث . وما عليك إلا أن تلقي نظرة على دليل التليفون وانا متنازلة عن مكاني في

هذا الأمر لشخص آخر وبكل ارتياح .

كان "براد" مذهولا وهز راسه ببطء قبل أن يلقي بجسده على أول مقعد وقعت عليه عيناه ثم وضع مرفقيه بكل ثقل على المائدة ووضع ذقنه في راحة كفيه وهو يحك ذقنه النابت .

- أخشى أن أخيب ظنك . لقد تم الاستعلام وتبين أنك الشخص الوحيد الذي يحمل هذا الاسم . ثم إن مدينة "نيدو" هذه صغيرة للغاية بحيث يمكن التجول فيها في وقت زهيد . وانت تمارسين مهنة نادرة للغاية مما يسهل التعرف عليك عن طريقها .. لقد حددت أم "بتسي" بدقة أن الأمر يتعلق بالرسامة الشابة .

كانت "إيلينا" سترد عليه وبقوة عندما راته يحك أنفه . صاحت فيه وهي تشده من كم قميصه :

- ليس هذا وقت النقاش . إن مسالة الاشتراك في كتب الأطفال لا يعني أنني أعرف تربيتهم وانا ليست لدي نية أن أتعلم .. هل تتصور ذلك؟

- عندما تغضبين فإنك تشبهين "الأم ماكسين" .. لماذا تضعين نفسك في هذه الحالة ؟ إنه ضار بخصلات شعرك وتصبحين في نظري شنيعة المنظر .

- ولكني لا أسمح لك ! اهتم بشؤونك الخاصة !

- خبريني - أفضل من العراك - أين ستضعين السرير ؟ .

- في صندوق سيارتك "الفان" !

تظاهر بانه لم يسمع هذا التعليق الساخر وانتقل مباشرة إلى حجرة الضيوف . صاحت :

- أنا أمنعك !

- لو سمعتك السيدة "لورنس" لذهلت من الطريقة التي تعاملين بها

ابنتها .

ثبت أعمدة السرير وركب الأرجل وفرد الملاءة ثم ركل السرير عدة ركلات بقدمه ليتاكد من ثباته وتوازنه . بعد ذلك اختفى في الصالون وعاد بالغطاء الذي احضره معه .

أخذت "إيلينا" تتاوه وتقول في نفسها :

"إن هذا المخلوق مجنون يجب تقييده .. إنه مجنون . ولو استمر الحال على هذا المنوال فإنه سيصبح خطرا . ما الذي يثبت لي انه لم يخطف هذه الطفلة قبل أن يحضر للتخلص منها عندي .

- البطانية في الأرجوحة ويوجد كيس وسادة في الحقيبة "البلاستيكية" .. هيا إذن واحضريها بدلا من ان تظلي مسمرة في مكانك تراقبيني ! كما عليك أن تسخني المرضعة .. بعد ذلك ستقضي "بتسي" الليلة كالملاك . وصباح غد اعطيها سلطانية حبوب وبقية الخوخ المحفوظ وكمية محترمة من اللبن . وإذا لم يكن عندك لبن فإنني ساحضره لك من المستشفى . هذه كل التعليمات .

- اسمع ! هل أنت واثق بانك تتحدث نفس لغتي ام يجب أن أعيد الكلام مرة أخرى ؟

- إن "مارجو" هي التي يجب أن توجهي لها الكلام بالنسبة لهذه الاعتراضات . ولو قرات كلمتها القصيرة ..

صرخت "إيلينا" :

- لنتحدث فيها .. أقصد تلك الكلمة .. إنني انتظر الحديث في ذلك من مدة لأن الورقة التي تقول : إنها رسالة هي عبارة عن فاتورة تليفون باسمك . لقد فاض بي الكيل .. هل فهمت أن هذه الحكاية حكاية مجانين ؟

كان "براد" يدلك رقبته وهو ممتعض ثم كف عن ذلك :

- كيف ؟ لابد أن هذه مزحة .

قالت بحدة وهي تمسك الظرف من فوق المدفاة وتحركه أمام أنفه. وتقول بلهجة ساخرة :

- انظر بنفسك .. هل هذا الدليل كاف بالنسبة للمرسل المحترم الذي يتصل بخطيبته في "بافالو" ثلاث مرات في الشهر ؟

قال وقد بدا عليه النكد :

- إنها أمي ... هذا لا يمنع أنني دسست الرسالة في مكان ما.. ما لم ...

لم يكمل "براد" عبارته . جرت "إيلينا" نحو المطبخ حيث وجدت تفسيرا للانفجار المقلق الذي سمعته . لابد أن "بتسي" وجدت من المسلي أن تشد طرف الغطاء من فوق المائدة وبالتالي لم يبق أي فازة من الكريستال أو سكرية إلا وأصبحت آلافا من القطع المتناثرة متناثرة على البلاط وفقدت الزهور تيجانها بينما الطفلة تعبث في الماء في سعادة . قال "براد" وهو يبتسم :

- اختبئي أيتها الوحش الشرير . هل تاملين أنها سترعاك لو تصرفت بهذه الطريقة ؟ إنني اشك في أنك تحبين أن نقيدك ولكن..

فك حزام الأمان وأخرج الطفلة من فوق المقعد.

- والآن عليك أن تظلي هادئة .

نظرت إليه الطفلة بطريقة أفقدته أي مقاومة ودست أصابعها في شعره المجعد حيث كان يحتضنها عند رقبته . تاثرت "إيلينا" بتلك الأصابع الرقيقة التي تلعب في جمجمته بكل براءة قالت "بتسي" بطريقتها في أذنه :

- ما .. ما ..

قال "براد" :

- هذه هي الكلمة الوحيدة التي تعرفها وهي تنادي الجميع بنفس الكلمة بمن فيهم ممرضتنا .

- بالمناسبة يا "دكتور" هل يمكن البحث عن الخطاب الذي اضعته ؟

- هذا وعد ! وساهتم بذلك في الحال ، من المحتمل انني وضعته في درج التابلوه .. هذه عادتي وساذهب للتاكد من وجوده .

دار على عقبيه وانتهزت "إيلينا" الفرصة لإعداد رضعة . كان من الواضح أن الطفلة بدات تفقد صبرها . ولكنها حين رات المرضعة التفتت إلى منقذتها ومدت لها فمها واخذت تمتص اللبن بسرعة في حنان .

- من السهل إرضاؤك أيتها القطيطة .

صاح "براد" وهو على عتبة الباب :

- وجدتها .

انضم إليهما في المطبخ واخذ يربت بطريقة غريزية خدي الرضيعة المكورين وكانت حركة رقيقة لدرجة جعلت الشابة تحس بالغيرة . قالت بصعوبة :

- ساقرأ الرسالة عندما اهدأ . إن لدي شعورا بان "بتسي" لن تتاخر في النعاس . وما عليك إلا أن تضعها في المقعد الخلفي للسيارة "الفان" عند رحيلك .

نظر إليها "براد" بعينيه الحزينتين وترك الغرفة . وجدته في غرفة المعيشة وهو راكع فوق السجادة يكنس الأرض بيده . قال :

- إننا لن نستطيع أن نفعل شيئا بالنسبة لنباتك المسكين . ومن ناحية أخرى فإن استخدام المكنسة الكهربائية لن يضر .

- هذا لطيف من جانبك ولكني ساقوم بذلك بعد رحيلك . وأحب أن اخبرك أن ربيبتك الآن في عز النوم وعليك أن تهتم بها افضل.

شاب عينيه الخضراوين بريق بارد كالثلج . كان في صمت "براد" من اللوم ما يساوي ما بهما من خيبة واحست "إيلينا" بالهزيمة . قالت :

- حسنا . مادمت مصرا فإنني أوافق على بقائها الليلة ولكن ليس بعد ذلك . إذ تصبح المشكلة مشكلتك .

أجاب ببساطة وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيه :

- شكرا وساقوم بوضعها في السرير الصغير .

عندما أصبحت "إيلينا" بمفردها أخذت الخطاب الذي كان قد وضعه على المائدة وفتحته بعد تردد خفيف . كان التوقيع أسفل الخطاب غير مقروء والكلمات مكتوبة بحروف دقيقة تشبه الهيروغليفية وكان الكاتبة كانت محمومة : "أنستى العزيزة انت تجهلين من انا ولكن لدي إحساس بانني عرفتك طوال عمري . إن الأطفال في رسوماتك تبدو عليهم السعادة والحيوانات فيها جميلة للغاية .. ومن فترة صحبت "بتسي" إلى المكتبة عندما كنت تقرئين حكايات على الأطفال . آه لو علمت كيف احبت صوتك! إنني أتوسل إليك أن تساعديني . إن مالكة العقار الذي أسكن فيه امراة بلا قلب . إن رؤسائي اثرياء غير انهم مشغولون لدرجة انهم لا يريدون العناية بابنتي لذلك فكرت فيك . لقد كذبت عليهم في المستشفى عندما قلت : إنك صديقة لي . ولكني أعلم أنك ستسامحيني . اعتني جيدا بـ"بتسي" فهي الشيء الوحيد الغالي عندي . إنني أريد أن أستعيد صحتي بسرعة . من فضلك.. إنني في شدة الخوف أن يسلموها الغرباء .." .

تنهدت "إيلينا" :

- يا للمسكينة "مارجو" !

طبقت الرسالة ووضعتها على المدفأة ووضعت "شمعدان" فوقها حتى تتاكد من عدم ضياعها .

لابد أن تتحدث بشأنها مع "برادشو" . لا يمكن أن يتركا هذه الطفلة في هذا الوضع . إنها فعلا حالة طارئة .

كان الطبيب قد انسحب حتى يتيح لها الفرصة لقراءة الرسالة دون أن يشتت ذهنها وقد شكرت له كياسته . قالت في نفسها : "ربما كانت هذه حركة هروب من جانبه . عبرت باب حجرة الضيوف. وقفت في الحال على العتبة . كان "براد" ممددا على السرير بحذائه وهو مستغرق في النوم .

ذهلت "إيلينا" وخلعت نعليه وهزته بقوة ولكنها لم تتلق سوى زمجرة غير مفهومة وباءت محاولتها - الثانية لإيقاظه - بالفشل . ظلت لحظات وهي تتامل وجهه ثم شدت الغطاء حتى كتفيه وانسحبت على أطراف قدميها .

لم تمض سوى دقائق حتى استغرقت في النوم هي بدورها . وعندما نزعها جرس الباب العمومي الشنيع من نومها تعرفت بصعوبة على شعاع من الضوء يتسلل من الشيش .

من يا ترى لديه الجراة أن يزعجها في الفجر ؟ واربت الباب ووجهها مقطب وشعرها منكوش وأوشكت أن يغمى عليها من الدهشة : رات هناك "برادشو" بجسده العريض الضخم واقفا على العتبة . تقدم نحوها وبمنتهى البساطة لف ذراعه حول وسطها وصحبها للداخل .

أغلقت "إيلينا" عينيها .

الفصل الثالث

ظلا على هذا الحال فترة والشابة تتمتع بتامل وجهه المليح على ضوء الفجر وهي لا تصدق أنها مستيقظة . إنها لحظة نادرة في حياتها تحس فيها لأول مرة ببهجة الحياة .

سمعا في تلك اللحظة ضجة غير مفهومة . كان الصوت يأتي من مكان غير محدد وكان حادا ومتواصلا لا ينقطع إلا على فترات بعيدة ليعود مرة أخرى على هيئة صفير مستمر .

حبست "إيلينا" انفاسها وانصتت . اعتقدت أنه صوت يشبه صوت إشارات برقية عدا أنه لا يوجد جهاز تلغراف في اي مكان .. غير أن "براد" ظل بلا تعبير وظنت أن ما تسمعه هو من وحي خيالها .

عادت "إيلينا" واستسلمت للشعور الغريب واللذيذ الذي غمرها وهي بالقرب من ذلك الرجل الغريب . وأدركت قبل فوات الأوان أنها لو استمرت في استسلامها فإنها ستندم بعد ذلك حيث لا ينفع الندم .

www.elromancia.com

بحركة مفاجئة ابتعدت عنه .

قال لها بدهشة :

- وما الذي جعلك تفزعين هكذا فجاة ؟

صاحت :

- إنني أكره طرقك الاستغلالية .

رفعت الشابة يدها ووضعتها على صدرها وكانها تمنع قلبها من الانفجار .

قالت وهي توشك أن تصاب بصدمة عصبية :

- وهذه الضجة .. ألن تتوقف ؟

قال وهو يخرج من جيبه جهاز الاستدعاء الهاتفي "توكي ووكي" وقال :

- آه ؟ إنه هذا ؟ إنه جهاز الاستدعاء عندما أكون في وردية عمل وأكون خارج المستشفى فهذه هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلي في حالة الضرورة . ومن الواضح أن هناك حالة طارئة حاليا . يمكنني استخدام تليفونك ؟

بدا الأسف على "إيلينا" وشرحت له أنها لاتزال في انتظار إعادة الحرارة إليه .

قام في الحال بالإسراع إلى الخارج وجرى كالمجنون فوق النجيل . بعد لحظة سمعت صوت محرك السيارة تنطلق هادرة فوق الأسفلت . في وقت كلمح البصر كان الدكتور "برادشو" قد اختفى . لقد ظهر بمعجزة واختفى أيضا بمعجزة . ولم يبق من الإعصار شيء ، بينما أحاطها الشعور بالفراغ التام ، حتى إنها تابعت حلمها وهي شبه نائمة .

اضطرت الشابة لأن تترك المدخل المهجور وذهبت إلى غرفتها حيث

جلست في الحال أمام مرآتها . فوجئت بالصورة التي رأتها أمامها فارتجفت . رأت شعرها أشعث وملامحها مشدودة ومتوترة وعينيها منتفختين .

في الحقيقة كان بها كل ملامح الساحرة الشريرة ، احمر وجهها من العار . طبيعي أنها لعنت الأمير الساحر الذي برز من الطبيعة على غير موعد ، وهو المسؤول عن تحويلها إلى هذا المسخ الرهيب. لقد استطاع بيد سحرية أن يسبب لها الاضطراب . فكرت في أنها دميمة.. نعم إنها دميمة ولابد أن هذا هو انطباع زوجها السابق "كيرك" عنها . ولكن "كيرك" لم يعد له وجود في حياتها . ومنذ ثلاث سنوات من انفصالهما أتيحت لـ "إيلينا" أكثر من فرصة أن تكتشف أن معظم الرجال الذين يتقربون منها ليست لديهم نفس فكرة "كيرك" عن دمامتها، وقد كان من فائدة المغامرات العاطفية القصيرة التي مرت بها بعد الانفصال أنها أكدت لها ثقتها بنفسها ، وأن تستبعد ذكرى زوجها السابق للأبد . وكان "كيرك" كثيرا ما يكرر عليها أن ترتدي ملابس داكنة أكثر حتى تخفي بروزات جسدها ، وانتهى بها الأمر إلى الإحساس بالاضطهاد من جسدها . وكانت تحس أنها كالفيل رغم أن الزيادة في الوزن عن الحد الطبيعي لا تتجاوز بضعة كيلوجرامات قليلة ولكنها لو كانت حريصة على التخلص من تلك الكيلوجرامات لأصبحت لا تختلف في الهيئة عن عارضات الأزياء إلا في مسألة ضخامة صدرها .

في الحقيقة إن "إيلينا" كانت تحس بالألم خصوصا بسبب خجلها الذي وصل إلى حالة مرضية . لقد كانت قليلة الخبرة عندما قابلت "كيرك" وكانت تؤمن بكل ما يقوله لها وتثق به ثقة عمياء . وكانت في كل الأحوال تلجأ إلى حكمه ، وكانت تفعل ذلك مع أمها التي كانت تتبع

www.elromancia.com

نصائحها حرفيا والتي كانت تقول لها :

- إن لك مظهر البلهاء بشعرك الساقط على وجهك .. متى تقررين أن تربطيه ؟

وخوفا من أن تضطهدها أمها فضلت الشابة أن تطيعها .

ولكن "براد" نفسه يفضل الشعر الحر . عندما تذكرته بدأت في تمشيط شعرها بهمة وفي المرآة رأت شعرها ينسدل على كتفيها وصدرها كشلالات ذهبية .

بعد فترة دفعت باب حجرة الطفلة ، استقبلت بابتسامة سعيدة ومرحة . رأت "بتسي" واقفة فوق سريرها وكانت تتقافز فوق الحشية وكأنها لاعبة "ترمبولين" . مدت لها ذراعيها .

- ما .. ما ؟

أحست الشابة أنها تذوب ، وضمتها إلى صدرها حتى أوشكت أن تعصرها . اندست القطة "هاريسون" بينهما لتنال نصيبها من العناق ، كان فروها مثل القطيفة في نعومته ، وأمام كل هذه المظاهر ، ألقت الطفلة بنفسها على ظهرها وانطلقت في الضحك . اختفت القطة تحت الوسادة وأخذت "بتسي" تجذب ذيلها .

تدخلت "إيلينا" عندما راقبت المناورة :

- بهدوء ... وإلا أصابك ضرر . ما رأيك في إفطار شهي أفضل من ذلك؟

فهمت "بتسي" الدعوة وفتحت فمها على آخره في شراهة . لو كان الدكتور "برادشو" موجودا لما فاته ملاحظة تلك العلامة الواضحة .. من الواضح أن "إيلينا" عجزت عن أن تطرده من أفكارها . وبينما المسعورة تتحرك بغضب شديد فوق مقعدها ، أخذت مربيتها المؤقتة تراجع المذكرة التي تركها الطبيب الشبح فوق علبة الحبوب في المطبخ.

كيف يمكنها أن تنسى صوته العذب الرخيم والجاد في آن واحد ؟

أحست الشابة فجأة بالخجل من استسلامها لمثل تلك الأحلام الخطرة . ليس من المعقول أن تتحمل من أجل شخص غريب . أطلقت سراح "بتسي" التي أخذت تلعب بسوار من البلاستيك ثم قامت بتشغيل الغسالة الكهربائية ثم ذهبت إلى حجرة الضيوف وهي تنوي إعادة ترتيب السرير . عندما رفعت الغطاء دهشت وهي ترى تحت الغطاء فردتي حذاء ضخم أسود ... من الواضح أن صاحب الحذاء ذهب وهو يرتدي الجورب فقط . قالت في نفسها: "إن هذا المخلوق مجنون ولكن ما شأني ؟ فلست هنا من أجل مراقبة حركاته وأفعاله ومن الأفضل أن أذهب لأقوم ببعض أعمال البيت وهي كثيرة خصوصا إذا تأملت الحالة التي أصبحت عليها السجاجيد" .

قالت وهي تدفع المكنسة الكهربائية : إن تلك الأحداث المخجلة حطمت في يوم واحد روتين حياتها ، واليوم ليس لديها الوقت اللازم لإحضار الجريدة التي يتركها الموزع كل صباح على عتبة الباب ، ثم إن عليها أن تعتني بـ"بتسي" وأن تجفف بأسرع ما يمكن ملابسها التي وضعتها في العصارة .

أحست "إيلينا" بالإحباط يغزوها بعمق ، إنها تعاني التعب والحزن في آن واحد . عندما يعود "برادشو" فإنه سيصحب الطفلة معه ويتركانها بمفردها . ولن تراهما بعد ذلك أبدا . ومع ذلك فإن الشابة لا تطيق فكرة أن تنفصل عن الطفلة الصغيرة . إنها في منتهى العذوبة والغرابة والظرف وتغزو القلب ومع ذلك .. فإنها عندما ترحل فلن يكون هناك أي سبب في أن يرغب "براد" في زيارتها ...

تشتتت أفكارها على صوت رنين التليفون المميز والذي كان صامتا . سمعت أن الخط أخيرا تمت إعادته ووصله بالشبكة . أحست "إيلينا"

www.elromancia.com

بالارتياح حتى وإن كانت في الفترة الأخيرة لم يسعدها الحظ بتلقي مكالمات إلا فيما ندر .

غردت الصغيرة المزعجة وهي تزحف على أربع وتظهر على عتبة الصالون :

- ما .. ما ؟

تعلقت بساق "إيلينا" ورفعت نفسها على قدميها وهي تلوي أنفها . نطقت ببطء ووضوح :

- بيبي !

نظرت إليها الشابة ذاهلة وأخذت تقبلها وكأنها تلتهمها :

- رائع ! أنت تعرفين الكلام ؟ حسنا أنا أحبك .

ومن شدة حماس "إيلينا" جرت إلى التليفون ورفعت السماعة لتعلن الخبر للعالم كله. ولكنها أعادت السماعة إلى مكانها وهي تهز كتفيها. ليس هناك من تخبره بذلك . ربما ما عدا "براد" .. ثم لا .. ما فائدة ذلك ؟ إنها تخاطر بأن تصبح موضع السخرية وهي ليست في حاجة إلى المزيد .

ولكن يبدو أن هذا الرجل يحب الأحاديث التليفونية . عن بعد خاصة مع أمه . لابد أنه قريب إلى قلبها جدا . زفرت "إيلينا" لأن فرصتها ضئيلة في إقامة علاقة مع تلك الأسرة . إنها نادرا ما تتصل بأسرتها أو تتلقى منها خطابات إلا فيما ندر وحتى في تلك الخطابات لا يوجد أي شيء دافئ ومهم .

تصورت - لحظة - رد فعل والديها لو أخبرتهما بوجود "بتسي" ومدى تقدمها المذهل ... ابتسمت رغم ذلك وركزت انتباهها على العروسة الناطقة التي بدأت تزحف على بطنها . لقد أصبحت صحبة تلك القطيطة أمرا لا تستطيع الاستغناء عنه رغم مرور وقت قصير -

يحسب بالساعات - على وصولها غير المتوقع تماما قبل وجود القطة. شاهدت "هاريسون" وهي تمر وتدور أمام الطفلة مرات ومرات وهي تموء في سعادة . لقد أصبحت المتآمرتان لا تفترقان . وأحست "إيلينا" بما يشبه الغيرة . وتمنت من كل قلبها أن تدوم هذه السعادة الثلاثية.

أعطتها تلك الفكرة دفعة من النشاط . وعند تطلعها إلى السماء توقعت أن هذا النهار من شهر يونيو نهار رائع ورائع والنسيم العليل الذي تحسه في الخارج يغريها على النزهة . نعم إنها لا تنكر أنها محبوسة من أجل العمل .

ثم إنها عثرت على المبرر وهو ضرورة تجديد مخزون اللبن والعجائن وحفاضات "بتسي" . عند مرور "إيلينا" على السوبر ماركت ستنتهز الفرصة لاستكمال ملابسها هي أيضا التي نقصت. واقتصرت على أقل القليل . حملت الصغيرة على ظهرها ودخلت الحمام لتستعد .

- أنت عاقلة .. أليس كذلك ؟ لن أستغرق سوى دقيقتين في أخذ الدش .

أغلقت الشابة ستارة الحمام وصبت الماء الدافئ على جسدها وغسلته بالصابون بسرعة ثم خرجت ومنشفة معقودة حول رأسها وبشكير ملفوف حول وسطها بطريقة أهل "هاواي" .

لمحت طرف الطفلة وهي منهمكة في شيء ما في زاوية خفية . صاحت وهي تسرع نحوها :

- لا .. ولكن ماذا فعلت ؟

كانت الطفلة الصغيرة منحنية فوق كرسي الحمام تمص أصبعها المبلل .. جنت "إيلينا" من القلق ومسحت لها شفتيها بسرعة وفحصت في قلق الوجه المذعور . صاحت فيها :

- يا إلهي ! تقيئي ! تقيئي :

هذه المرة لم تكن مجرد حماقة وإنما كارثة بمعنى الكلمة . لاشك أن المعدة الصغيرة قد امتلأت بالميكروبات والقاذورات ما لم يكن قد فات الأوان . في قفزتين وصلت إلى التليفون . صرخت في عاملة التليفون بالمستشفى :

- حوليني بسرعة إلى الطوارئ .. بسرعة من فضلك إنها مسألة حياة أو موت ... أعطيني عيادة الدكتور "برادشو" !

أجابت العاملة في مكر :

- إنه متغيب اليوم . أسفة !

- ولكن هذا مستحيل .. لابد من الاتصال به هل تسمعيني ؟ أين هو؟ أين ؟

- أنا هنا !

استدارت لتجد "براد" خلفها . فغرت فمها وتركت السماعة تسقط ولكنه سارع بالتقاطها وتحدث مع عاملة المستشفى :

- نعم .. أنا "برادشو" الذي يتحدث . أنا موجود في الموقع وسأرى ماذا يجري وأقوم باللازم تحياتي وتذرعي بالصبر .

وضع "براد" السماعة برزانة ورفع "بتسي" بين ذراعيه أمام نظرات الشابة المذهولة . همس :

- حسنا أيتها المجرمة .. هل لازلت ترتكبين حماقاتك ؟ خبريني يا آنسة من البداية للنهاية .

تلعثمت الشابة :

- لقد شربت من كرسي التواليت .. إنه أمر مفزع .

- ألن تكفي عن الإصابة بالجنون من أجل لا شيء ؟ ألم تضعي مطهرا أو أي مزيل للرائحة من أي نوع ؟

هزت رأسها نفيا وهي غير مقتنعة . استأنف الحديث وابتسامة

ماكرة تتلاعب على شفتيه :

- في هذه الحالات . لا داعي لأن تزيدي الطين بلة ..

- ولكن أقسم أنك بلا إحساس . ألا تدرك مدى الخطر مع كل هذه البكتيريا التي ابتلعتها .

رأى "براد" فجأة وجهها يشحب وخديها مغطيين بالدموع وكتفيها ترتجفان بفظاعة . قال لها وهو يمسك بها :

- ولكن ماذا أصابك ؟

خشي أن يغمى عليها وقادها إلى الأريكة :

- استريحي من فضلك لقد تعرضت أعصابك لتجربة قاسية ..

تاوهت والنشيج واضح في صوتها وهي تقول :

- أنت لا تفهم شيئا .. إنني لا أعرف التصرف مع الأطفال ! لقد اعتقدت أنها ستموت .. وقد توقف دمي عن دورته .. ضع نفسك مكاني!

- لقد انتهى الأمر الآن .. استرخي .

أحس بأنه قليل الحيلة أمام هذه الشابة الرقيقة والهشة ، وعندما حاول أن يربتها ليهدئ من روعها زاد فزعها . كانت قد تكومت فوق الأريكة وأبقت عينيها منخفضتين . بدأ يستخدم معها خبراته الطبية حتى يزيل تقلص عضلاتها واضطرابها . قال لها وهو يرفع ذقنها بأصبعه حتى تنظر في عينيه مباشرة :

- ليس في الأمر شيء ، وأؤكد لك ذلك ، وليس هناك أي سبب يجعلك تعتقدين أن هناك خطرا .

رفعت نحوه وجهها المتوتر .

- وأنا لا أتحمل أبدا أن أتصرف بهذه الصورة أمامك حتى لا تعتبرني امرأة شاذة التصرفات .

www.elromancia.com

- أنت مخطئة يا "إيلينا" ، ولكن كل ما هناك أن رد فعلك كان مبالغا فيه . ثم إنني أعرف العديد من الأشخاص يمكن أن يمروا بنفس ظروفك تماما .

قالت بصوت خشن :

- أنا .. أنا لا أعرف ماذا حدث لي . عادة لا أبكي أبدا !

فجأة أحس بشعور غريب نحو تلك الفتاة الهشة والفاتنة والساحرة، وأحس بانجذاب شديد نحوها ولكن كان عليه أن ينظر إليها كمريضة ، وأن يتناسى رغباته كرجل ، وأن عليه أن يهدئ من روعها ويشعرها بالأمان .

إنه يعلم أنه مر وقت طويل دون أن تثيره امرأة كما أثارته تلك الشابة قليلة الحيلة . بل ربما لم يحدث له قط ذلك . في الحقيقة إنه في السنتين الماضيتين لم يفكر قط في النساء ، ولكن تلك الشابة المذعورة أمامه أيقظت بداخله تلك الرغبات الطبيعية . رأى في عينيها نواتي اللون الأزرق المائل للرصاصي مع مسحة ذهبية لمحة من القلق الملح . تساءل : عما يمكن أن تفكر فيه ويصيبها بهذا القلق ؟ وعلى أية أسئلة تحاول جاهدة أن ترد ؟

كان "براد" يتاملها في صمت ويتساءل عن المكان الذي يحتله في أفكارها . فجأة وجدها تنهض بعنف وتندفع هاربة من الحجرة لتختفي في حجرتها .

الفصل الرابع

للمرة الثالثة كررت "إيلينا" على نفسها أن عليها العودة إلى الصالون مهما كلفها الأمر .

أخذت نفسا عميقا ثم وضعت يدها على مقبض الباب ثم فجأة فتحته .. لتلقي بنفسها في عرين الأسد . كانت قد رتبت شعرها وربطته في ضفيرة على ظهرها . وارتدت بنطلونا أزرق ضيقا على موضة القرصان فوقه بلوزة بيضاء برقبة قصيرة وياقة تشبه البزة العسكرية . إنها ستقابل بشجاعة ذلك الرجل الذي زرع داخلها الأمل والفزع في آن واحد .

وجدت "براد" في تلك اللحظة في الحجرة الصغيرة التي تستخدمها عادة في كي ملابسها قالت له : في صوت فشلت في أن تجعله ثابتا :

- هل تبحث عن شيء ما ؟

- لا .. إنني أجمع حاجيات "بتسي" .

www.elromancia.com

كان يتحدث بلهجة باردة دون أن يعنى بالالتفات لها .

- ولكن .. الآن ؟ هكذا بسرعة .

انتهى من تكويم الملابس ودسها في الحقيبة الضخمة . رد على تساؤلها :

- لقد قلت ليلة واحدة فقط . أليس هذا ما قلته ؟ ما إن تستيقظ فلن نزعجك بعدها أبدا .

- وبعد ذلك .. إلى أين ستنقلها ؟

- لابد أن هناك بيت أمومة خيريا في المنطقة أو مرضعة بالأجر.

- وإذا .. حدث أن غيرت رأيي .

- هيا .. هيا .. ولأي سبب بالضبط ؟

- يبدو أن أمها متمسكة جدا بأن تبقى معي .

حدج "براد" الشابة بنظرة شك مشوبة بالسخرية :

- لابد أن "مارجو" لم تعرف بالضبط المرأة التي أرادت أن تعطيها ابنتها كأمانة . ثم لماذا تحاولين إخفاء شخصيتك الحقيقية؟ إنك من ينطبق عليهن المثل الذي يقول "وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر" ؟

- وما شأنك أنت ؟ لماذا تخلط بين الأمور ؟ لقد كنا نتحدث عن "بتسي" على ما أظن ومن الأفضل لنا أن نستأنف الحديث عنها .

- إنها مجرد ملحوظة .. أو بمعنى أصح وسيلة للتعبير عن المشاعر كما يقولون . ولكن إذا كنت متمسكة فإنني سأكتفي بدوري كطبيب .

قالت بسرعة :

- بالضبط هذا هو المطلوب . هل لديك أخبار سارة عن "مارجو"؟

جلس على مقعد وظل خافضا عينيه فترة :

- يمكنني أن أقول لك: إن حالتها مستقرة ومن وجهة النظر العلاجية والمراقبة فإن هذه هي الحقيقة المجردة . ولكن من ناحية

التشخيص المتحفظ الأكثر أمانة - على الأقل من وجهة نظري - فقد بذلنا خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية كل ما في استطاعتنا وحتى الآن لم تسجل أي علامات مشجعة أو تقدم ملحوظ ..

زفر وسكت . لم يرفع رأسه وأخذت "إيلينا" راحتها في تأمل قسماته بدقة . لقد فكر هذه المرة أن يلبس حذاء وهذا نوع من التغيير ومع ذلك فإن بنطلونه وقميصه كانا مكرمشين بشدة . دليلاً على أنه ارتداهما بعد أن أخرجهما من ماكينة التجفيف مباشرة ودون كي . على أي حال هذه عادة معظم العُزاب وفكرت الشابة في أعماق أعماقها أن الوقت حان لأن يعتني به أحد .

كان مظهره يثير شفقتها خاصة التعب البادي بوضوح على وجهه . قالت في نفسها : إن هذا أمر طبيعي فهو يعيش حياة مشحونة بالجهد مثل كل من هم على شاكلته .. قال فجأة :

- يبدو عليك القلق والهواجس وإنني أتساءل : ما الذي يعذبك إلى هذه الدرجة ؟

صاحت رغما عنها :

- أنت ! إن مظهرك سيئ .. لابد أن تتمدد قليلا وهذه الراحة ليست رفاهية على ما أعتقد .

- إن ذلك التعب سينتهي . إنه ليس أسوأ من إصابة المرء بالبرد . على أية حال شكرا لك على اقتراحك . أتذكرين كيف كان حالي بالأمس؟

- فعلا لقد كنت في حالة يرثى لها .

- أعرف أنني رحلت حافي القدمين . ولكن اعلمي أن الإنسان ليس دائما حريصا ومنتبها ، ثم إن العاملين بالمستشفى لا يعبئون بأي شيء مثلك . وبالمناسبة لابد أن أرحل . لقد وعدت من حل محلي ألا اتغيب كثيرا . ثم إن الأمر يتعلق بـ"بتسي" . هل لازلت مصممة على

www.elromancia.com

بقائها معك ؟

- نعم وطوال المدة الضرورية .

كانت "إيلينا" قد وضعت في كلامها كل الثقة . كيف طاوعها قلبها لحظة أن تترك طفلة في هذا الجمال والظرف والتي تحتاج إلى الكثير من الحنان والحماية ؟ تقدم "براد" منها وامسكها من كتفيها :

- شكرا والف شكر . إنها فرصة لأن تتمتع "بتسي" بك . وحتى لا أخفي شيئا فإنني كنت ساجد صعوبة أن اخبر امها بانها نزلت عند اشخاص غيرك .

همست والدموع في عينيها :

- هل ستنجو "مارجو" ؟

- أنا مثلك اتمنى لها الشفاء ولكن بالنسبة للطبيب فليس هناك شيء مضمون ولكن عندنا افضل الإخصائيين . وأعرف انه يمكن الاعتماد عليهم حتى في هذه الحالة بالذات رغم ما فيها من عقبة صعبة فإنه لا توجد اي طريقة ممكنة إلا وستجرب معها . ومن المهم معرفة سوابقها المرضية ولكن "مارجو" ضعيفة لا تستطيع الكلام . إنها - ببساطة - لم تعطنا معلومات سوى اسمها وعنوانها ومهنتها . إنها تقوم بالخدمة في البيوت ونجهل الباقي مثل : من أين جاءت ؟ ومن هم أقاربها ؟ وهل للصغيرة أب أم لا ؟!

- ولكن أعتقد أنك قابلت مالكة العقار ؟

- نعم عند استرداد حاجيات الطفلة اخبرتني المؤجرة انهما كانتا تعيشان عندها من شهرين . وعندما فتحت ثلاجتها الكهربائية وجدت علبة البان ولا شيء غيرها . وانا متاكد من أن الام كانت تحرم نفسها من أجل طفلتها وهو أمر مالوف عندما يكون سنها ثمانية عشر عاما وهي السن التي اعطيها إياها ...

همست "إيلينا" :

- نعم افهم الوضع . إنني أتصور جيدا ما يمكن أن تشعر به .. لابد انه امر رهيب أن تشعر بالعجز أمام المرض .

- أو الأصح الموت .. قوليها بصراحة . إن ذلك يحدث في أحيان كثيرة . وانا دائما لا استطيع أن استوعب ذلك . هل يمكن أن تدركي أنه في بلد مثل بلدنا والذي يدعي اننا نعيش عيشة جيدة هناك عدد لا يستهان به من الأطفال يموتون من سوء التغذية والفقر ؟ و"مارجو" ليست على الإطلاق حالة خاصة . والأكثر من ذلك أن "بتسي" جزء من هؤلاء الذين اسعدهم الحظ لأن امها ضحت بنفسها من أجلها . ولكن اقسم لك انني عندما رايت المكان الضيق الذي كانتا تعيشان فيه انفطر قلبي حزنا . لقد كان عندها حشية واحدة فقط لا غير ولا يوجد عندها ما يدفئهما . وقد يكون الأمر محتملا في هذا الفصل من السنة ولكني أتساءل : هل ستقاومان قر الشتاء ؟ ثم إن الطفل يكبر ويجب تربيته ورعايته . و"مارجو" ليس لديها ما تلبسه لابنتها .

- أنت تبالغ . إنها على الأقل لديها الضروريات .

قال شارحا و"إيلينا" دهشة :

- لانني تصرفت كما قلت لك .. والآن لابد أن اسرع .. إلى اللقاء !

لم يتح للشابة اي لحظة تفتح فيها فمها بكلمة لتساله : متى يعود؟ لانه كان أسفل المدخل ثم أغلق بوابة السور . انسابت السيارة "الفان" واختفت وعاد الشارع إلى حالته السابقة مهجورا.

عادت "إيلينا" إلى الصالون وتساءلت في نفسها : "هل جيرانها حولها سيتساءلون حول ذهاب السيارة الخضراء وعودتها بصفة مستمرة ؟ وبعد ذلك بقليل سيبدءون في الثرثرة ونشر الأقاويل والشائعات إن لم يكن ذلك بدأ بالفعل" .

قالت "تيري جريتسبان" وهي تلوح لـ"إيلينا" بيدها :

- صباح الخير !

كانت تقوم بنزع الحشائش من جزء من حديقتها عندما شاهدت جارتها الجديدة تمر وهي تدفع الصغيرة "بتسي" في عربتها .

- لقد أخبرني الأولاد أنك أحضرت طفلة . ولكن خيالهم شطح بهم لدرجة أنني لم أصدق كلامهم وهانا أجد أنني كنت مخطئة .. هل تبنيتها ؟

أشارت بيدها إلى الطفلة وعربتها :

- لا .. إنها ابنة إحدى صديقاتي وسأحتفظ بها بعض الوقت .

- إنها حقا تستحق الاهتمام . لابد أنك تشعرين بالسعادة وأنت تنزهينها ! ولا أحب إذن أن أعطلك . ويجب أن أقول لك : إن الصبيين متحمسان جدا بالنسبة لموضوعك . والحقيقة أنهما فخوران بأنهما يسكنان بجوار فنانة وبمعرفة أن اسمك مطبوع على معظم كتبهما . ولكن إذا وجدت أنهما مضجران أكثر من اللازم فلا تترددي في طردهما وأنا أضيء لك النور الأخضر في ذلك . إن هذين الشيطانين قد يقلبان بيتك رأسا على عقب ! وأنا أعرف أنك في حاجة إلى هدوء .

- ليس الأمر خطيرا لهذه الدرجة ! ثم إنه من الطبيعي أن يهتما بما أفعله . على أية حال أنا أحدثهما عن عالمهما الخاص . وهما عندما يتابعان فرشاة الرسم في يدي يبدو وكأنهما ينتظران أن أنتهي من رسم الشخصيات ليلعبا معها .

تابعت "تيري" حديثها الذي لا نهاية له :

- لقد وضعت قدميك في عالم غريب ومثير لقد كان هذا المكان من سنوات يعج بالأطفال وبعد ستة أشهر لم نعد نرى منهم أحدا . وقد تعودنا ذلك في النهاية وهو ليس سيئا لهذه الدرجة . ولكن بدلا من أن

نثرثر ونحن واقفتان : مارأيك في قدح من القهوة ؟ تعالي إنني أدعوك.

ابتسمت "إيلينا" في دهشة . إنها عادة تعيش وحيدة مكتفية بنفسها ولكنها أحست الآن برغبة في تبادل الاجتماعيات مع جيرانها.

ولكن "بتسي" قررت شيئا آخر حيث بدأت تتململ بعنف في مقعدها وفي إطلاق صرخات ثاقبة .

قالت الشابة :

- اعذريني فإنها لا تستقر على وضع في مكان واحد وزيارتي ستكون في يوم آخر .

قالت "تيري" وهي تضحك :

- هكذا الحال دائما مع كنوزنا الغالية .

عندما تحركت عربة الطفلة لوحت يد صغيرة مكتنزة في الهواء.. مما أسعد المربية المؤقتة وأحست بنفحة من الفخر تجتاحها أمام حيوية هذه الطفلة التي لا تزيد عن عقلة الإصبع والتي تعرف من صغرها السلوك الحسن .

عبرت الرصيف الذي كانت تسقط عليه أشعة الشمس ولجأت إلى ظل الأشجار الضخمة المورقة التي كانت على جانبي الشارع. تذكرت "إيلينا" وهي تدفع عربة الطفلة بنشاط حركة الوداع التي قامت بها "بتسي" ، وتذكرت أيضا أنها لم تخبر "براد" عن تقدم الطفلة الصاروخي في استخدام الكلمات .

كل ذلك لم يكن له أهمية مادامت ستراه في القريب العاجل .

ابتسمت ثم ضحكت . لقد مر وقت طويل دون أن تهتم بدخول شخص جديد إلى حياتها واعتبرت أن هذه التجربة الجديدة مثيرة وحافزة للغاية . ولكن يجب الآن فقط ألا تلقي بنفسها على أول من يقابلها دون أن تفكر في العواقب . إن "إيلينا" تريد قبل كل شيء أن تتحفظ .

www.elromancia.com

وعندما ستستعيد "مارجو" طفلتها فلن يكون لدى "براد" أي عذر للحضور ما لم يكن بالطبع يرغب في ذلك .

سارعت في خطواتها وكأنها تحاول طرد هذا التفكير غير المنطقي . لا .. لا يمكن أن يكون بينهما سوى علاقة وقتية زائلة . "براد" ليس سوى ظهور مفاجئ وليس معنى دخوله منزلها انه يعتبر الشخص المختار ليستقر في قلبها . إن الشابة ليست في حاجة إلى شخص في حياتها وهي لا تريده وتحس في الحقيقة أنه قادر على تعذيبها كما علمتها وحدتها الإجبارية .

ومع ذلك فإن تلك اللقاءات السريعة كانت تسبب لها الاضطراب لدرجة رهيبة . تساءلت : لماذا لم تحاول السيطرة على نفسها ؟ لابد أن أفكارها غريبة وشاذة ولابد أن السبب هو معدتها الخاوية فالمرء عندما تنقصه الڤيتامينات يبدأ في التخريف .

إن صورة هذا الرجل الرياضي بارز العضلات تطاردها بإلحاح، لدرجة الاضطهاد وتصبح شبه حقيقية وخطيرة . ما الذي فعله حتى يأسرها بهذه السرعة ؟ ولماذا لا تستطيع الآن الهروب من ذكراه ؟

أحيانا كانت تشعر "إيلينا" وهي مع "كيرك" بهذا النوع من المشاعر وهذا السحر ، ولكن هذا الصباح عرفت بالغريزة أن الأمور مع "براد" يمكن أن تكون أكثر عمقا وإثارة للأعصاب .

هل ربما يتمادى أكثر من ذلك في يوم من الأيام ؟ وربما يوما ما يعرفان حقا كل أسرار البهجة التي كانت ولاتزال تتمنى أن تكشف سرها . تنهدت "إيلينا" وزادت سرعة خطواتها . لقد خرجت من البيت ولديها نية القيام بالمشتريات . إن هذا بالضبط ما تحتاجه حتى تنشط ذهنها الذي بدأ يهيم في الخيال .

اتجهت وهي في "السوبر ماركت" دون وعي إلى قسم الحبوب وأخذت

عددا من العلب في عربة البضاعة والتي وضعت فيها أيضا "بتسي" . بعدها حملت العربة بعلب الخوخ المحفوظ والمشمش والتفاح والفراولة والجزر بالبيض .. لقد كان القسم متخما بكل الأنواع والأشكال التي تسيل اللعاب .. وأوشكت أن تنسى اللبن فعادت إلى قسم الألبان وأخذت عدة علب وكذلك عددا من الحفاضات حتى لا تنسى أي شيء .

وعند مرورها في قسم الملابس الخاصة بالأطفال فحصت "إيلينا" بعض الأشياء ولكنها رأتها من النوع المتواضع ولا تصلح لأن ترتديها تلك الفاتنة التي تدفعها أمامها .

همست وهي تأخذ دورها في الصف أمام الخزانة :

- أنت لن تخسري شيئا لو انتظرت يا عزيزتي .

لم يزعجها الثمن الإجمالي للبضائع على الإطلاق ، على أية حال إنها حرة في إنفاق نقودها كما يحلو لها ، وبعد ظهر هذا اليوم بالذات قررت أن تسعد "بتسي" بالإغداق عليها . كان الحانوت الخاص باللعب يحوي دون شك معجزات مثل الألعاب التعليمية اللازمة لإيقاظ الذكاء عند الطفل . وفي الداخل مدحت لها البائعة بهلوانا ناجحا ورائجا في السوق والذي يبدأ في الغناء كلما أدير أنفه الأحمر بطريقة مفتاح الزنبرك . كما كانت التفاحة فوق العجلات مسلية جدا وهي تصدر أصواتا من أجراسها الصغيرة كلما تحركت . ولكن الذي استولى على انتباه الطفلة الصغيرة هو خيارة ضخمة بلون أخضر طبيعي تصدر أصواتا مضحكة كلما قضمتها بأسنانها .

وكان الحانوت يعرض أيضا ملابس فاتنة وعملية ومتنوعة الأشكال، وكذلك الملابس الداخلية وسراويل الأطفال وعشرات الأشياء المختلفة ، حتى إنها تساءلت : كم من السنوات يستغرقها الطفل في استهلاك هذه الكمية الضخمة من "السالوبيت" والسراويل المنفوخة

والمطرزة بالدانتيل والفانلات المنقوشة وخلافه؟

اشترت الشابة ايضا مظلة توضع فوق العربة وركبتها في الحال ثم استمرت في التجول داخل المعرض التجاري بحثا عن حذاء للصغيرة . إن "بتسي" لا يصح أن تظل حافية القدمين حتى الخريف .

وقفت "إيلينا" دون سبب محدد أمام قسم البياضات الفاخرة حيث جذب انتباهها مجموعة البياضات الجميلة الخاصة بأسرة الأطفال وفي قسم الملابس الخفيفة من قمصان النوم والأرواب الحريرية شبه الشفافة وغيرها مما يلبس في حجرة النوم . واكتشفت أنها وقد بلغت الواحد والثلاثين من عمرها لم تستخدم سوى قمصان النوم القطنية الخشنة والتي تصل حتى ساقيها ومن أعلى حتى عنقها . لقد كانت دائما تحاول أن تخفي جسدها . صحيح أنها أيام كانت عروسا في بداية حياتها الزوجية كانت تعاني المشاكل المالية في إدارة البيت بحيث لا تسمح بالتبذير على مثل تلك الملابس .

على أية حال فإن "كيرك" كان دائما يتهكم من ملابسها رغم أنها محتشمة . من الواضح أنه ليس مثل "براد" . إن "إيلينا" لم تنس النظرة المليئة بالإعجاب التي القاها عليها وهي تتبختر خارج الحمام دون أن تتوقع وجوده .

هل وجدت لديها رغبة في أن تفتنه ؟ وهل في النهاية ستصبح أنثى؟ لقد أحست بالخوف أمام تلك الأفكار التي بدأت تجري داخل عقلها . في اللحظة التي كانت تهم بدفع الباب ، اوشكت أن تتراجع .. ربما في يوم آخر ولكن الإغراء كان اقوى .

وقفت بعد ذلك عند المكتبة واشترت كل ما نشره خبراء تربية وعلاج الطفل المشهورون ، من كتب حول صحة وتعليم وتربية وتنمية الطفل بطريقة فعالة . وبالتاكيد لابد أن تلك الأبحاث بها أيضا طرق إسعاد

الطفل .

كان من الواضح أن "بتسي" سعيدة لأنها كانت تضحك على راحتها وهي تطرق صندوق حذائها الجديد . لم تستطع "إيلينا" المقاومة وابتسمت ابتسامة عريضة وشاركت الطفلة سعادتها . لقد كان نهارا غير عادي والحياة جميلة .. فعلا .

تحت الشمس الساخنة ووسط الهواء المعطر بروائح الأعشاب المقطوعة حديثا والورود الفواحة والتي نثرتها الرياح في الجو . أخذت "إيلينا" تستنشق الهواء بكل قوتها وملء رئتيها . من شهور طويلة لم تحس بالمتعة كما تحس الآن . لم يبق إلا حركة واحدة وتنطلق جريا وهي ترقص وسط الشارع او تغني باخر ما في صوتها من قوة وكأنها فتاة صغيرة حصلت أخيرا على الإجازة المدرسية .

ومن حين لآخر وهي سائرة كانت تدفع صدرها للأمام وتاتي بحركات بوجهها نحو الفتاة الصغيرة التي كانت تطلق ضحكات سعيدة . كانتا تتمتعان كالمجانين وبدا وكان هذه اللعبة لن تنتهي أبدا. إن تلك اللحظات من السعادة كان لها طعم خاص هو مزيج من الإثارة والجنون والمرح والغرابة .

سارت العربة الصغيرة بنعومة فوق الرصيف و"إيلينا" لا ترى شيئا سوى طفلتها ، وهذا الوجه المشرق الذي تضيء وسطه عينان زرقاوان.

- هل رأيت هذا يا "بيلي" ؟ يا إلهي ! إن الآنسة "ماك تريفور" ترقص مثل الفراشة !

فزعت "إيلينا" ودارت خلفها وشاهدت المراهقين اللذين غطى حب الشباب وجهيهما وهما يقفان أمامها ، إنهما يسكنان على بعد خطوتين من مسكنها وبالطبع لن يتوانيا عن نشر قصة ما رأياه في المنطقة على زملائهما ، والتجار الذين يضحكون ملء أشداقهم

www.elromancia.com

وسرعان ما يصبح الحي كله على علم بالقصة ولن يكفوا عن التهكم عليها .

عندما أعادت الفكر وجدت أن مسلكها كان فعلا غريبا وغير مألوف . مررت "إيلينا" كفها على وجهها ودفعت شعرها للخلف ، وحاولت الهدوء ، استأنفت السير وعيناها لاتزالان تنظران نحو الأرض ودفعت عربة الطفلة بسرعة أكثر من المتوسطة .

بعد عدة أمتار اصطدمت العجلات بفردتي صندل أبيض فوقهما ساقان برنزيتان وكعبا رجل ضخم يناسبان ضخامة الصندل.. رفعت عينيها لأعلى وشحب وجهها : كان "براد" يبتسم وقد عقد ذراعيه على صدره .

- أرى أن قلبك في عيد .. إنني ألاحظك من مدة ولابد أن أعترف أن المنظر يساوي ثقله ذهبا . نظرت إليه وهي مشوشة الفكر وكأنها طفل ضبط يرتكب حماقة . خرجت من صوتها بحة غريبة :

- ولكن ... كيف حدث هذا ؟ إنني ظننت أنك بالمستشفى .

- إن الأطباء أيضا يرتاحون . وهم أحيانا في حاجة إلى مقابلة أشخاص أصحاء خصوصا الحسناوات . أنت فاتنة خصوصا عندما تتركين شعرك طويلا ، لقد أتيحت لي الفرصة أن أكتشف أن هذا إحدى مزاياك ...

جعلت المجاملة وجنتيها تحمران خجلا وزادت حرجها . قال :

- لا تشعري بالخجل . عندما يكون الإنسان سعيدا يجب عليه أن يظهر سعادته ، وصدقيني أن هذه ليست خطيئة . كم هو رائع أن ينطلق الإنسان ! وكثيرا ما فكرت أن الضحك هو أعظم اختراع.

شكرته "إيلينا" بابتسامة . لقد كانت من لحظات تحس أنها صبيانية التصرفات ومثيرة للسخرية ، ولكن يكفيها هذه الكلمات منه

لتعيد إليها ثقتها . إن "براد" لم يغفر لها طريقة تعبيرها عن المرح فحسب وإنما أيضا يفهمها . إنه يشجعها على التعبير عن عواطفها علانية في مواجهة العالم وبعفوية طبيعية . قالت :

- هل تريد أن تكمل معي النزهة ؟ ولاحظ أن الرقصة قصيرة ! فقد كانت لدي نية في العودة إلى البيت مباشرة . لابد أن "بتسي" مبتلة ..

- لقد جاءت دعوتك في حينها ! تصوري : إنني عائد لتوي من منزلك ولدي وقت حر حتى الساعة الحادية عشرة مساء . وهو ما يتيح لي الوقت الكافي أن أدعوك إلى العشاء . وبالطبع سنصحب الطفلة معنا . ثم إن ذلك سيهدئ أعصابك . إن المهنة الجديدة التي فرضتها عليك ليست مريحة على الإطلاق . ولابد أن أقول : إنني أشعر بالذنب نحوك .

- لا مكان لهواجسك . لقد بدأت في تحمل المسؤولية ، بل بالعكس إنني مضطرة لرفض دعوتك للمطعم حيث يبدو عليك مظهر الورقة المكرمشة ، ولن أدهش لو أنك نمت فوق طبقك قبل تناوله .

- ربما كنت على حق . إن الأفضل في هذه الحالة أن نتشارك في وجبة خفيفة في مطبخك .

ترك عجلات العربة التي كان قد منع حركتها وقال :

- سأتبعك . وسنتناول الوجبة السريعة .

www.elromancia.com

الفصل الخامس

قالت "إيلينا" وهي تفكر في أعماقها : إنه يبالغ . إنه أمر غير محرج على أية حال . كانا يصعدان درجات المدخل بينما ظهر عليه الإنهاك الشديد الذي يصل لدرجة العذاب ، ومع ذلك ضحكت رغما عنها :

- هل صحبتك لنا مؤلمة لك لهذه الدرجة يا دكتور "برادشو" ؟ أم أنك جائع لدرجة أنك توشك أن يغمى عليك ...

رد على تهكمها بنفس لهجتها :

- لا على الإطلاق يا عزيزتي . أنت تعرفين جيدا أنني أستطيع أن أخفي مشاعري ، لو أردت التمثيل . في الحقيقة إنني سأحس بانني على راحتي أكثر لو ناديتني باسمي المجرد .

فك أربطة العربة ووضع "بتسي" على مائدة الصالون . كانت الطفلة فخورا جدا بحذائها الجديد ، وأخذت تدور حول نفسها كالراقصة الضئيلة الموضوعة في صندوق الموسيقى .

بدأت "إيلينا" تفرغ مشترياتها واحدة بعد أخرى . أخرجت الكتب من الكيس ، ثم نظرت إلى كيس آخر فاكتشفت أنه يحتوي على ملابسها الداخلية . فسارعت بإخفائها وراء الأريكة وكأنها تخفي خجلها .

تدخل "براد" فجأة قائلا :

- في كل مرة أرى حمرة الخجل تصعد خديك ، أحس أنك لازلت صبية صغيرة .. اعتقد أن هذا نوع من الفن .. أليس كذلك ؟

انتصبت فجأة وهي عاجزة عن الرد وشعرت أن خديها مشتعلان نارا . إن هذا الرجل دون شك وقح . وبعض كلامه قادر على أن يضعها في حالة عدم ارتياح . أحست "إيلينا" فجأة بانه يخضعها تحت سيطرته ، وتذكرت لحظات ضعفها السابقة أمامه ، ظل "براد" يتأملها وكان مدركا تماما مدى ارتباكها .

- أرجو أن تسامحيني إذا كنت قد جرحت شعورك ؟ لقد كنت طائشا غير حصيف ولكنك تشعريني بالخوف . إنني أحب الطريقة التي يحمر بها وجهك وطريقة رد فعلك ولكني في الحقيقة لا أمثل وإنما أقول الحقيقة وأتمنى لو صدقتني ..

همست وهي لا تدري ما تقوله :

- نعم .. شكرا .

خفضت عينيها وأخذت تنظر في غلاف أحد الكتب حتى تحاول أن تسيطر على نفسها .

قال "براد" ضاحكا :

- هل اشتريتها في تصفية .. لا شك أنك استهلكت ثروة .. يا إلهي! ماذا ستفعلين بكل هذا ؟

- اقرؤها ! وقد تمكنني من ألا أزعجك عندما تبدأ "بتسي" في ارتكاب حماقاتها .

www.elromancia.com

- إن هذا يدهشني .. عندما يصاب الإنسان بالفزع فإن آخر ما يمكن أن يفكر فيه هو اللجوء إلى كتيب يشرح طريقة الخروج من المازق .

أمسك بالصغيرة من ذراعها واجبرها على ان تقفز من فوق المائدة إلى السجادة . نفذت ذلك دون أي اعتراض وهبطت كالكرة فوق السجادة الناعمة . ابتسمت واخذت تصفعه بيديها تعبيرا عن نجاحها .

- هيا أيتها النسناس حتى أغير لك ملابسك .

علق "براد" لاعبة الاستعراضات الصغيرة على ظهره واتجه نحو الحجرة . تبعتهما "إيلينا" بنظراتها وشردت في أفكارها . إنه يلزمها وقت آخر لتستطيع العناية بطفل ولكن لديها شعور بانها ستتمكن من ذلك في المستقبل والا تفقد اعصابها بسهولة من اجل لا شيء ويكفيها في ذلك أن تحذو حذو "براد" الذي يراقب "بتسي" دون ان يضطر إلى التفرغ الكامل لها .

فتحت "إيلينا" - بطريقة آلية - احد الكتيبات عند الصفحة الأولى ولكنها سرعان ما شردت أمام الضحكات والهمسات التي تاتيها من الحجرة المجاورة . لقد كان العملاق واللعبة يتعاركان كقطين فوق الجدار وحسدتهما على انسجامهما .

أخذت تتصفح الكتيب وهي تشعر ببعض الحزن ومرت بسرعة على الفصول الخاصة بالحمل والرضاعة لتقف انظارها على صورة تعالج العملية النفسية للحركة الناتجة عن التنفس ابتداء من الشهر الثاني عشر وادركت مع بعض الأسف أن قول بعض كلمات والتلويح بالوداع ليس بامر غير عادي كما ظنت من فترة قصيرة . هزت كتفيها وهي متاكدة من أن المؤلف لم يقترب قط من طفل في حياته وان قلبه قاس . إنه واحد من هؤلاء العلماء الذين يعتبرون ان تقدم صغارهم يقتصر

على اتباع بعض إحصاءاتهم العلمية .

قطع "براد" تفكيرها المرير وهو يسرع نحوها .

- "إيلينا" ! أتعرفين ماذا ؟ لقد نطقت كلمة "قفي!" إنه أمر رائع.. أليس كذلك ؟

ردت عليه بلهجة متعالية :

- هذه ليست أول مرة .. ساقوم بوضعها في الفراش الآن . وأرى أنها عصبية بعض الشيء .

كانت "بتسي" جالسة فوق السجادة كالملكة وهي تتلقى مداعبات القطة التي أخذت تبذل كل جهد في تقديم جميع أنواع الحركات المصحوبة بالمواء .

قالت الشابة في وجه "هاريسون" :

- أنا آسفة . ولكن هذه ساعة تعسيلتها .

رن جرس الباب وسارع "براد" ليتلقى البضائع المرسلة من السوبر ماركت . وكان المندوب محملا اكثر من "سانتا كلوز" في عيد الميلاد وقد اضطر إلى الذهاب والعودة بين الشاحنة الصغيرة والمدخل حتى يصبح المطبخ مثل مخزن السفينة بعد شحنها لقد كان هناك كمٌ من المشتريات في صناديقها الكرتون تكفي الأسرة دهرا . قال "براد" غير مصدق لـ"إيلينا" التي دخلت لتوها المطبخ:

- لا تقولي لي : إن كل هذا من أجل "بتسي" ؟ إنك بذلك ستحولينها إلى بطة محشوة لا تستطيع الحركة . ثم إنها سلع قابلة للتلف .

- لا تبالغ .. كل ما هناك انني رتبت بحيث لا اضطر إلى الخروج كل صباح.

- بهذه الطريقة يمكنك ان تفتحي حضانة .. إن صبيا في الثالثة من عمره سيجد صعوبة في ابتلاع كل هذا . وأرى انك أحضرت رغم ذلك

الأصناف الفقيرة في عناصرها الغذائية . ثم هذا البيض والجبن والجمبري .. حسنا بالنسبة للكوليستيرول بصفة خاصة .. لاحظي أنك إذا تعبت من المضغ فعليك اللجوء إلى الفواكه المحفوظة والأطعمة المضروبة في الخلاط والسابق سلقها مدة طويلة .

ابتسمت "إيلينا" من هذا الكلام غير المفهوم :

- بالنسبة لي لست في حاجة إلى أن أنمو ، ثم لو فحصت جيدا لوجدت أنني أحضرت أشياء مفيدة جدا في حالة الزيارات غير المتوقعة .

دست يدها في حقيبة بلاستيكية وأخرجت منها لحما محمرا وشرائح دجاج والسمك . قال :

- بالنسبة لي فإنني أشعر بضعف نحو الطيور . لأن لحمها طري ولذيذ .

تعمدت عدم ملاحظة تعليقه الأخير وأخذت تضع في فريزر الثلاجة بطريقة آلية اللحوم ووضعت الخضراوات في الدرج الخاص بها . ولكنها في كل حركة تقوم بها كان يجد تعليقا عليها . وعندما استعدت لرص العلب أحست به خلفها يمد يده ليساعدها وكان قريبا جدا لدرجة أنها شمت عطره وعندما وضع يده على كتفها أحست بأنها ستفقد الوعي .. وعندما واتتها الشجاعة لأن تستدير لتواجهه كان "براد" قد ابتعد وقد انغمس مرة ثانية في عالم المشتريات والمخازن الغذائية .

وكان شيئا لم يحدث من فترة لأخرى .. صاح :

- لا شك أن هذه المشتريات كلفتك ثروة .

- في الحقيقة إن أسعار السلع الغذائية لا تخضع للتخفيض . ولكني افترض أنك لا تدرك ذلك مادمت تقضي معظم وقتك في

المستشفى .. ماذا تفعل بالنسبة للوجبات ؟ هل تأكل بنظام "اخدم نفسك" مثل الآخرين ؟

لم تفلح بسؤالها هذا أن تشتت انتباهه عما كان يفعل في تلك اللحظة . قال بلهجة متسلطة :

- لدي نية أن أشاركك في الثمن الذي دفعته .

- بالطبع لا .. لقد حدث تعاون من جانبك في كل ذلك . ولا تنس عربة الأطفال والسرير والفراش وغيرها .. لا يمكن بالطبع أن تكون هبطت من السماء . عندما صمت "براد" حولت الحديث :

- وماذا عن "مارجو" ؟ هل تحسنت حالتها ؟

ندمت في الحال على كلامها .. خشيت أن ينقل إليها أخبارا غير سارة .. ولكن عينيه الخضراوين لم ترمشا وهو يقول :

- يمكن أن أقول نعم .. على أية حال بدأت حرارتها تنخفض وهي علامة طيبة . ولكن لماذا تعودين إلى الحديث عن مرضاي ؟ لايزال أمامي ست ساعات وثلاث وخمسون دقيقة من الهدوء والسكينة قبل أن أعود إليهم فدعيني أرتح على الأقل من هذا الهم.

رن جرس الباب في تلك اللحظة بالذات ، قالت في نفسها : "هذا هو الهدوء الذي كنت أرجوه" ! كان مندوب محل مستلزمات الأطفال . جلس "براد" في تصميم على الأريكة وهز رأسه وشارك في عملية التفريغ المؤثرة . وجدت الشابة سعادة في مدح البضاعة، بدت فخورا بكل مشترياتها ، إن "بتسي" على كل حال تستحق أن تضحي في سبيلها بحفنة من الدولارات . أليس "الباريانوز" الصغير الأحمر سيكون رائعا على جسدها ؟ خصوصا جيوبه الظريفة ولكن ماذا تضع فيها ؟ قال لها :

- تضع فيها السعادة ! إن أمي كانت دائما تحكي للصغار الذين

يتلفون جيوبهم بدس قبضاتهم فيها أو يمزقونها أنهم بذلك سيفقدون السعادة . وعندما كنت لا أطيعها كانت تنظر إلي نظرة حادة وتقول لي بلهجة تؤثر في كثيرا : "وماذا ستفعل بعد أن تقتل سعادتك الصغيرة؟".

إنها هشة كما تعلم ويجب الحرص عليها حرصك على عينيك" ..

- هذا جميل .. وفي يوم من الأيام سأقدم لـ"بتسي" ثوبا به جيب من أعلى لأسعد حتى تصبح دائما سعيدة .

جلست على الأرض مثله .. مد يده وفرق بين خصلات شعرها الطويل الحريري . همس في أذنها :

- أيتها الفتاة الصغيرة !

غرقت "إيلينا" في مشاعرها ولم تبذل أي جهد لتخرج من تلك الحالة الهائمة الشاردة .

قال لها وهو ينظر في أعماق أعماقها :

- يجب ألا تقاومي هذه المشاعر لأنها رائعة ...

سكت مرة ثانية لأن الكلام لم يعد له قيمة وأخذ يلتهمها بنظراته وفهمت "إيلينا" أن ما يدور برأسه هو نفس ما يدور برأسها قال :

- أنا واثق بما تفكرين فيه لأنك إنسانة فريدة . ولكني فقط أريد أن أتأكد .

نهض وساعدها على النهوض وراغت منه متجهة ناحية النافذة حيث بدأت شجرة الصبار تشفي من جراحها التي حدثت لها من جراء اعتداء "بتسي" عليها . قال لها :

- عندما تسيرين بسرعة فإن شعرك يتطاير في الهواء مثل عذارى الغابة .

سعدت "إيلينا" من المجاملة وواصلت ذهابها وإيابها بنفس السرعة

وكأنها منهمكة في عمل حقيقي وانتهى الأمر بها أن ألقت بجسدها منهكة على الوسائد "العثمانلي" المرصوصة بجوار الجدار وأسندت ذراعيها على السلة . قال لها "براد" برقة :

- ولكنك مستاءة وشاردة في شيء ما !

قالت له صارخة وهي تتراجع للخلف :

- لا توجه لي أي كلمة .

- من الذي داس لك طرفا ؟ لقد كنت أقل وحشية من قليل وبدا عليك السرور والسعادة .

- ذلك لأنني لم أتعود على السعادة .

ظل وجه "إيلينا" متجهما وقاتما . عادت إليها ذكرى أمها . ورأت فمها الممدود والملتوي عندما كانت توجه إليها بعض اللوم والتوبيخ على مسلكها الخليع الذي لا يناسب طبيعتها وأخلاقها . قالت وهي تتجنب نظرات "براد" :

- أنت لا تستطيع أن تفهم .. أنت رجل طبيعي جدا ولا تستطيع أن تخفي انفعالاتك .

- نعم وأعترف بذلك . ولكني لا أتصرف بنفس هذه الطريقة مع كل النساء . المسألة مسألة انجذاب ومعك بصراحة لا أستطيع المقاومة وأتعشم أن تشعري بنفس هذا الشعور نحوي .

رأى "براد" في عيني "إيلينا" بريق عدم التصديق مما جعله يضطرب وقال :

- إنني لا أريد أن تكون عاطفتي من جانب واحد .

- إن الأمر لا صلة له بذلك . كل ما هناك أنه يلزمني وقت كاف وإذا لم يجدّ في الأمر ما يضايقك فإنني أريد أن أمسك بفرشاتي وأستأنف العمل بينما "بتسي" نائمة .. وإلا فلن أستطيع أبدا أن أفي بعقدي .

www.elromancia.com

- أحسن .. وأنا سانصرف .

تبعها إلى الحجرة الفسيحة المضيئة إضاءة جيدة والتي تستخدمها كورشة . كانت تطل على ما يشبه الشرفة وكان الأثاث معظمه من الخيزران . وفي الوسط مائدة رسم هندسي ركب على رأسها مهندس العمارة كشافات متحركة . وعلى جانبها مقعد عال يمكن ضبط ارتفاعه مع مجموعة . والآنية وزجاجات الحبر تكمل الديكور . وكانت مجموعات الألوان من الأقلام والأنابيب الجواش والزيتية والمائية مرصوصة بجوار البالتة . قالت له وهي تشير بيدها في حركة دائرية :

- إنني أحب أن أعمل هنا . وهذا المكان بالذات هو الذي دفعني لشراء البيت عندما زرته وعاينته وقد سحرني بوجه خاص هذا التدفق من الضوء الطبيعي .

وافقها "براد" وهو يقف أمام فتحة الشرفة .

- إنني أفهم ذلك . والفناء أيضا ليس سيئا .

كانت أزهار الجيرانيوم الحمراء في أصصها تحدد مساحة النباتات وسور الشرفة . وتتسلق الجدران في شلالات من الخضرة والحمرة والأرجواني . وسط هذه الغابة الصغيرة تتسلل أشعة الشمس وتلقي هنا وهناك بقعا بيضاء تتراوح بين الأبيض الفضي والذهبي الداكن . وعلى العكس من ذلك كان النجيل ينشر سطحه اللامع حيث نمت الزهور وسطه بطريقة عشوائية في موجات تميل إلى اللون الأزرق . كان العشب في حاجة إلى تسوية . ولكن في وسط هذه الفوضى إحساس بالحياة فتن "براد" في الحال .

استدار ووجد "إيلينا" تميل على ورقة وتجري بيدها الرفيعة الطويلة بالفرشاة في خطوط واثقة وثابتة دون أي تردد . راقبها لحظة

عن بعد وهو دهش من براعة يدها وبهذا التركيز الشديد الذي بدا وكأنه يعزلها عن العالم الخارجي .

وجد نفسه فجأة بلا فائدة وبلا حركة وقد عقد ذراعيه على صدره . خرج إلى الحديقة دون أن يحدث ضجة وبدأ - بمساعدة المقص الضخم - في تشذيب الأعشاب الشاذة .

وجدت الشابة من ناحيتها أن الإلهام لا يريد أن ينزل عليها . وحاولت أصابعها العصبية مع الفرشاة وباءت جميع مجهوداتها بالفشل . قالت في نفسها : "إن وجود هذا البستاني الجديد له دخل" واكتشفت أنها لم تحس بهذا الإحساس قط مع "كيرك" . كانت معه تؤدي عملا ممتازا . كانت تعتبره عذرا مقبولا للابتعاد عنه بل الأكثر من ذلك أنها كانت تعتبره ملجأ يسمح لها بالهروب من تلك العاطفة التي تجعلها تحس بالفراغ الذي يوحي به زواجها.

رجت زجاجة الحبر ثم فجأة انهمكت في الرسم ، هذه المرة أحست تماما بالموضوع ولم يعد هناك أي شيء يمكن أن يشتتها.

بعد فترة سمعت صوت "بتسي" و"براد" مما جعلها ترفع رأسها عن اللوحة وراتهما وقد استلقيا على بطنهما فوق العشب وهما يلعبان بالمهرج والخيارة . صاحت نحوهما :

- لم لا تأتيان وتنضمان إلي ؟

لم يحتاجا إلى تكرار الدعوة واندفعا ويد كل منهما في يد الآخر. كانت الطفلة تسقط بينما رفيقها يلقي نظرة على اللوحة من فوق كتف "إيلينا" . قال :

- ما هذا الحيوان الصغير ؟

- كما ترى إنها سلحفاة لها أجنحة .

- لا باس ولكن يا لها من فكرة غريبة ومضحكة وكأن عالم الحيوان

ليس مزدحما بحيث يتحمل المزيد من نزوات الفنانين !

- الموضوع هو حكاية خرافية وبالتالي اشطح بخيالي . وبصفة عامة فإنه في الحكايات الخاصة بالصغار فإنني مللت صور القطط والكلاب والأسماك الحمراء والقوارض بينما أجد الوطاويط والحيوانات الخرافية أكثر إثارة وتسلية .

- لابد أن أعترف أن هذا الحيوان المرسوم على اللوحة ناجح جدا . هل لديك أصناف أخرى من هذا النوع ؟

أمسكت دفتر الاسكتشات وأرته بعض الرسوم :

- إنني أحس بضعف نحو حماري الوحشي المخطط بالأحمر والأبيض ونحو دورة الأرض المتموجة كما ترى .

- وهذا الحوت وسط البانيو إنه ساحر . إن لك لمسات رائعة . هل تعرفين هذا ؟

أخذ يتصفح الاسكتشات في انبهار .

- لنقل : إنني حققت نوعا من النجاح وإنني أعشق مهنتي . ولكن الرغبة ليست دائما موهبة .

- بالنسبة للبعض فإن النجاح لا يأتي لهم مصادفة . كم عدد الكتب التي زينتها بالصور ؟

أجابت باختصار قبل أن تملأ قلمها بالحبر الأزرق التركواز لتحدد الأجنحة .

- ليس لدي أدنى فكرة .

انهمكت بعد ذلك في إكمال ملبس السلحفاة الغريبة وهي تضع حول رأسها قبعة بحار وعلى عينيها نظارة شمسية وقالت موجهة كلامها إلى شخصيتها الخرافية :

- حسنا .. هانت أصبحت مستعدة لأي مغامرة ولكن يجب أولا أن

أجفف .

رفعت الورقة في الهواء وأخذت تحركها بنشاط . راقب "براد" العملية وابتسم وأحس بالتسلية وهو يرى "إيلينا" رزينة مثل الحكماء. كان يحب عفويتها وعدم اكتراثها عندما تتهكم على عدد المؤلفات التي صنعتها ولم تكن تهتم على الإطلاق بهوسها وحركاتها الشاذة . كل ذلك وهي مستمرة في عملية الإبداع . ذهب إلى دولاب الكتب وأخذ يمرر أصابعه على كتبها التي كانت تحتل عدة رفوف .

كانت "إيلينا" منتصبة فوق مقعدها كحرف ألف . ثبت "براد" عليها أنظاره وهو يتساءل : لماذا تكرس كل حياتها من سنوات طويلة لإسعاد آلاف الأطفال دون أن يكون لها طفل ؟

ومع ذلك كان بإمكانها أن تحيا حياة مشتركة بين مهنتها ووظيفتها كأم لأسرة . من المؤكد أن "إيلينا" على استعداد للتوفيق بين الوظيفتين وتجد فيهما الرضا التام . قال في نفسه : "لو كان زوجها لشجعها على سلوك الطريق الصحيح" .

خطرت بباله تلك الأفكار وحي الساعة مما أدهشه هو نفسيا أن يفكر فيها . ولحسن الحظ ليس لديه أطفال معلقون برقبته وأنه سعيد لذلك. أما بالنسبة لتلك الشابة المنهمكة للغاية فإنه لا يريد أن يعطيها أهمية أكثر مما يتجاوز مواهبها ...

ومع ذلك فإنها لا تنقصها الفتنة . وجد نفسه مسحورا بطريقة غريبة إلى فكرة أن تستطيع هي أن ترتدي أمامه قميص النوم الشفاف الذي عثرت عليه "بتسي" مخبأ وراء الأريكة في حجرة الصالون . لم يكن قد حدثها بعد عن اكتشافه أو بمعنى أصح اكتشاف البهلوانة "بتسي" . ولكنه لن يتوانى عن كشفه في أول مناسبة . في الحقيقة لماذا لم تقل "إيلينا" شيئا ؟ هل هذا أيضا من مظاهر الخجل ؟

www.elromancia.com

لقد كورت تلك القطعة من القماش الشفافة في يدها واخفتها وهي تتصور أنه لم يلاحظها . تصور هذه القطعة الشفافة وهي ترتديها لتكشف عن جمال رائع .. أخذ يتاوه . سمعها تقول له :

- ماذا هناك يا "براد" يجعلك تتاوه هكذا ؟

تجمد في مكانه أمام صوتها العذب الرقيق رفع إليها عينيه وقد اتسعتا واستدارتا :

- لا .. لا شيء .. أؤكد لك .. لم أرد أن أزعجك ..

- تقصد ألا تقلقني بصفة محددة !

كانت تتطلع إليه وقد لوت فمها في تشكك . لقد كان وجهه مكفهرا ولكن لم يكن السبب في ذلك هو التعب . لا ... إن الأمر يتعلق بمشاكل جسيمة .. شيء ما فيه يدل على عدم الرضا وقد يكون اضطرابا عاطفيا قال بصوت خفيض :

- من الأفضل أن أذهب لإعداد العشاء !

قالت موافقة :

- هذا أفضل .

أحست بالارتياح .

عندما دخلت "إيلينا" المطبخ صاحت : "أوه" إعجابا . كانت شرائح الدجاج البيضاء في غلافها البلاستيكي قد تحولت إلى لحم شهي فاتح للشهية ومقرمش وكانت مرصوصة على صينية خدمة وسط تاج من الأرز مزركش بالخضراوات متعددة الألوان وحبوب السمسم والقرفة .

- ولكنك شيف درجة أولى حقا !

- إنني أتصرف جيدا في المنزل وبالمناسبة فقد أطعمت "بتسي" ولم يبق سوى وضعها في الفراش ولكني لن أستطيع التأخير أكثر من هذا

إذ لا يصح أن أترك المرضى ينتظرون .

سرعان ما أفرغ محتويات طبقه ثم نهض وغسل يديه واغتسل بعد دقائق ثم فتح الباب ولوح بيده بحركة غامضة وقال دون أن ينظر خلفه :

- إلى اللقاء !

أحست "إيلينا" بالإحباط والغضب حتى إنها أخذت تذرع الصالون طولا وعرضا . إن كل هذا النهار الرائع لم يكن سوى حلم . ترى ما اللعبة التي يلعبها "براد" ؟ لقد بدا مقبلا عليها هذا الصباح وها هو الآن يروغ مثل الثعلب .

ألا يعني ما تبادلاه من نظرات عاطفية صريحة شيئا بالنسبة له؟

www.elromancia.com

الفصل السادس

لم ينتبه "براد" إلى تغريد الطيور التي تبشر بالفجر وضغط على جرس الباب وانتظر سماع صوت أقدام وراءه . كان الشارع الذي تقطن "إيلينا" فيه مهجورا تماما وغارقا في الظلام . لقد أمضى ليلة رهيبة في المستشفى وهو غير قادر على أن يغمض عينيه . لقد سار مباشرة في طريقه ولم يقف إلا أمام هذا الباب . كان يجهل الأسباب التي دفعته إلى هناك في تلك الساعة وعند هذه الشابة التي من المحتمل أنه سيوقظها من أحلى نومة .

عندما شاهدها على عتبة الباب بوجهها المشرق الصبيح تحت كتلة من الشعر المجنون . ظل فاقد النطق من هول هذا الجمال الشاذ . تلعثمت وهي تطرف بعينيها :

- ما الذي حدث ؟

فجاة فقد عقله والقى بنفسه عليها في جنون كالإعصار . إنه ظن في

لحظة أن الفردوس مفتوح أمامه . أراد أن يضمها بشدة ويهمس لها بكل المشاعر التي اعتملت في داخله وعذبته طول الليل. ويريد أن يفعل اشياء مجنونة وأن يجري معها يدا بيد وأن ينقلها خارج البلدة وخارج هذا العالم القبيح وأن يترك كل شيء وراءه وأيامه الطويلة خلف جدران المستشفى الرمادية والناس الذين يعانون عذاب المرض وتلك المعارك التي تستنفد جهده .

إن عيني "إيلينا" ذواتي اللون الرمادي اللامع وجسدها الرشيق الفارع تقول له : إن الحياة خارج هذا المكان وإن هناك مكانا لهما. لقد كان قلبه يدق حتى يوشك أن ينفجر والدماء تندفع في عروقه في دفعات غير منتظمة .

ولكن ماذا ستظن به .. بهذا الرجل الواقف ، أمامها كالمجنون والذي لم يحيها ولم يعتذر لها لأنه أزعجها في هذه الساعة غير المتوقعة ؟

فجاة ابتعد عنها ونظر إليها بعينين ذاهلتين . لم تتحرك "إيلينا" من مكانها وقد تخشب جسدها حتى إنها لم تستطع أن ترتجف . إن رد فعل "براد" العنيف أحرجها وشوش فكرها . لقد لاحظت أن أحاسيس ومشاعر كثيرة تتصارع داخله . لقد ظهر فجاة حتى إنها لم تفكر في صراع ومقاومة تلك العاطفة الخانقة .

تساءلت : لماذا تلك الشعلة العنيدة مستمرة في التوهج في هاتين العينين الكبيرتين الواسعتين اللتين لم يظهر فيهما في تلك اللحظة سوى الخوف ؟

كانت "إيلينا" كالمشلولة ولا تستطيع أن تخرج أي صوت من فمها . تأملت نفسها من رأسها لقدميها ورفعت خصلات شعرها المجنون التي غطت وجهها وقالت في نفسها :"إنها بقميص نومها المكرمش وساقيها العاريتين تشبه امراة متوحشة أو مهجية أو ربما ساحرة

هربت من فيلم رعب . بدأ "براد" الحديث بصوت طفل ضبط مذنبا" .

- هذا .. أنا .. لقد مررت بالحي .. وقد انتهزت الفرصة وأحضرت لك الإفطار .. فطائر خارجة لتوها من الفرن .

أخذ الكيس الذي وضعه على المدخل . قالت "إيلينا" في نفسها: "إن هذا المخلوق مجنون وإنني على وشك أن أصبح مثله" . اغلقت الباب وراءهما .

اعتذرت وتركته بالصالون لتدخل الحمام . اغلقت الباب الزجاجي وخلعت ملابسها بسرعة ، أي فكرة مجنونة جعلتها ترتدي هذا الزي شبه الشفاف في تلك الليلة التي هبط فيها عليها "براد" بزيارته غير المتوقعة .. "لابد أنه سيظن أنني أغويه ولكن لا.. لقد أردت فقط أن أثير إعجابه ثم إن ارتداء هذا الثوب الفضفاض يريحني" .

خلعت "إيلينا" في غضب جامح ذلك الثوب .

واندفعت بسرعة تحت الدش وهي تأمل أن يزيل عنها الدش البارد الحمى التي اجتاحتها . غسلت جسدها بالصابون وحكته بدرجة أوشكت أن تجعله يدمي . لابد أن تختفي تلك الصور المضطهدة التي تطاردها ليل نهار . إن نفس الحلم دائما يوقظها فزعة ثم يعود من جديد كلما حاولت أن تغلق عينيها . جعلت المياه المهدئة تنصب على كل جسدها وظلت هكذا وقتا طويلا إلى أن بدأ الوهم والخيال يزولان .

في الحجرة المجاورة كان الرجل الذي هو موضوع حلمها يتململ كقط على سطح ساخن وهو فريسة لتساؤلات مؤلمة .

إن مجرد تغيير "إيلينا" لملابسها التي تشبه ملابس التلميذة بهذا القميص ، حولها إلى امرأة كاملة الأنوثة ومثيرة . وعيناها المتوحشتان في لحظات تاخذان تعبيرا شرها يزيد فتنتها . بدت وكأنها خلعت القناع لتظهر على حقيقتها .

أخرج "براد" يديه من جيبيه ورفعهما إلى عنقه . يا لها من فتاة كلها تناقضات ! إنه معها يواجه مفاجاة تلو الأخرى دون أن يفهم لمسلكها أي تفسير .

توجه إلى المطبخ وحتى يشغل نفسه أوصل الغلاية بالكهرباء قبل أن يضع قطع الخبز المستديرة في طبق . ولكن ما الذي تفعله وهي سجينة في الحمام ؟ أحس وكأنه ينتظرها من ساعات . لم يعد يطيق صبرا وصب لنفسه قدحا من القهوة تجرعه دفعة واحدة وتاوه لأنه كان يغلي ثم أعاد التجربة مرتين متتاليتين . القى نظرة شاردة على النافذة ثم جلس .

أخذ يطرق سطح المائدة بأصابع عصبية . ظهرت في الحال الشابة . قال في نفسه : "إنها لن تقترب منه بعد المشهد الرهيب الذي حدث عند باب المدخل ، لقد شعرت بالخجل ولم تعد قادرة على أن توجه إليه أي حديث . إنها تتصرف كفتاة صغيرة وبريئة" .

ولكن هل هي فعلا فتاة بريئة ؟ لا .. لقد بدا هذا الافتراض بالنسبة له غير معقول . إن لدى "إيلينا" نضجا لا يغيب عن أحد ملاحظته ، لابد ان هذه المراة تبلغ الثلاثين من عمرها ، ولابد أن أي إنسان عادي قد مر بتجارب عاطفية .

وجد أنه من الحكمة الا يدفع افكاره نحو هذا الميدان الخطر ، وأخذ يقضم بشراهة الفطائر الساخنة ليهدئ من نفاد صبره . كان يمضغ بصوت مرتفع عندما سعل شخص وراءه . قالت ضاحكة:

- من الواضح أن لديك جوع الذئاب .

رفع "براد" نحوها عينيه الدهشتين . إنها ارتدت نفس "البنطلون القرصان" كالأمس ، ولكن هذه المرة كانت ترتدي بلوزة بلون أزرق صارخ وعلى مقاسها تماما . بينما أحاطت خصلتان من شعرها المبتل

بوجهها ، حيث لمعت حدقتا عينيها الخضراوين ببريق معدني. جعله هذا المنظر يهتز بكل كيانه ويحس بالخطر . قالت بصوت هادئ :

- هل تعلم انها الخامسة صباحا ؟ إن لك تصرفات غريبة يا دكتور !

- معنى هذا انني أمر لرؤية "بتسي" . أنت تعرفين انني لازلت في وردية في الليلة القادمة و ...

- إن زيارتك لها لا شك تسعدها . فقط المشكلة انها ليست لديها أية أسباب تدعوها للاستيقاظ في الفجر .

- ولكني اعدك انني لن ازعجها إطلاقا . سامرر رأسي فقط من فرجة الباب وسأذهب على اطراف قدمي فقط لاقول لـ"مارجو" : إن طفلتها في حالة ممتازة .

- على هذا الأساس اتفقنا .

أخذت "إيلينا" تتلذذ بتناول "البتي بان" إنه في رقة فطائر "البريوش" وطعمه ألذ .

- إنه لذيذ .. لذيذ فعلا وشكرا . إنها فكرة ممتازة أخذت في الحال قطعة أخرى وأخذت تقضمها ، اغمضت عينيها من التلذذ والبهجة وابتسم "براد" وهو يراها ويرى تلك الصبية الصغيرة الجائعة وهي تلوك الطعام بأسنانها في تلذذ . قالت :

- إن والديّ كانا يفضلان الحبوب والزبادي والفواكه الطازجة .. ويوم الأحد نتناول بيضة إضافية ولحما مقددا .

- ألا تتناولون فطائر أو كعكا أو "جاتوه" أبدا ؟

- لم تكن من مشهياتهم ولكن عندما حصلت على شقة خاصة بي.. انتقمت من كل ذلك .

قررت ألا تتورط أكثر في اعترافاتها ولا تذكر وجود "كيرك" . لقد حضرت إلى "نيدو" لتنسى ذلك الماضي المؤلم . يجب باي ثمن أن

تتجنب أن يحاول محدثها أن يطرح أسئلة موارية يمكن أن تكشف عن الجروح الماضية وتحييها من جديد . لقد كانت غلطة الشباب ولا تريد أن يعثر عليها بصفة خاصة .

فتاة ساذجة وغبية وإن كان ذلك صحيحا .

كان "براد" يراقبها وقدح القهوة في الهواء وأخذ يمعن فيها النظر وكأنه ينتظر منها أن تتحدث في أمور خاصة حميمة . مرت بخاطره لحظات فكرة أنها ربما تكون متزوجة أو ربما مطلقة أو أرملة . من يدري ؟ ولكنه أحس بالغريزة أن اللحظة غير مناسبة لسؤالها عن ذلك. ولو وجدت لديها الرغبة في يوم من الأيام بالاعتراف فستفعل من تلقاء نفسها . قال وهو ينتصب فوق مقعده حتى إن نظرات "إيلينا" زادت قتامة :

- إنه سؤال ملح .. هل تحبين فطيرة اللحم بالخضار لأنه يوجد منها في قاع الكيس ؟ . إنني لم أستطع المقاومة فأنا أحبها لدرجة الجنون .

قالت وهي تشعر بالارتياح :

- يبدو انني سأستسلم أنا الأخرى لإغرائها . سكتا وقد شردا مدة دقائق في التهام إفطارهما . وكان كل منهما يأمل أن تحتفظ المحادثة بينهما بشكلها الطبيعي وأن يدعا أسرارهما في أمان . احتسى "براد" قهوته وهو يرمق الشابة التي كانت تجمع الفتات المبعثر وهي شاردة. سألته :

- وماذا عن "بتسي" ؟ هل هي بصحة جيدة الليلة ؟

- لقد اضطررت لتغطيتها قرب الصباح . وغير ذلك فإنها بخير.

ساد الصمت مرة ثانية بينهما . كان كل منهما في مواجهة الآخر واستقر نوع من عدم الارتياح الغريب بينهما . وكأنه شيء ثقيل وغير

متوقع ومهدد في آن واحد . فجاة هبط "براد" على ركبتيه وعيناه هائمتان . همس :

- "إيلينا" ! عزيزتي "إيلينا" .. يا إلهي ! إنني اعتقد انني مصاب بالحمى .. نعم من الأفضل أن ارحل من هنا قبل ..

نهض بصعوبة . هزت رأسها موافقة على رحيله واخذت ترفع المائدة وكان هذا العمل نشاط ملح ومهم وعاجل لابد أن تفعله . لم يفعل سوى أن قلدها وملأ حوض المطبخ بالأطباق والأكواب . وكان ذلك جهدا لا طائل من ورائه .

لم يكف قلبه عن أن يدق بعنف داخل صدره وأحس بجسده يشتعل نارا . لقد كان يعاني العذاب وهو على بعد خطوات منها ولا يستطيع أن يلمسها . تمنى فقط لو أن "إيلينا" فهمته وفتحت له قلبها . لقد كان يشعر بالحمى والألم وهي تراقبه دون أن يبدو عليها اي تعبير . قالت له :

- عد إلى بيتك يا "براد" ، أنت في حاجة إلى النوم ، هل تسكن في مكان هادئ في المستشفى ؟

- بصفة عامة فإنني أتوسد الفراش على صوت أبواق سيارات الإسعاف وسيارات الشرطة . إن الحظ معك هنا . إن المرء يشعر وكانه وسط الريف ، إنه مكان مثالي للراحة .

تبادلا نظرة طويلة دون تعليق وفهم كل منهما ما يدور في ذهن الآخر. ولكن من المستحيل أن يجد راحته في هذا البيت ، خصوصا أن جرس الباب قد يدق في اية لحظة ، ليندفع ابنا جارتها ويزعجانه .. لا.. من المستحيل أن يفعل ذلك ، ومن الأفضل أن يعود إلى حجرته بالمستشفى .

صحبته "إيلينا" إلى عتبة المنزل واكتفى بان ربت خدها وعند مروره

من بوابة السور التفت للوراء ثم ابتعد فوق الرصيف .

ها هو قد رحل وأحست "إيلينا" فجاة بفراغ شديد . فهي عندما تهجر تسقط في الوحدة .

القت بجسدها فوق المقعد ذي المساند ووضعت رأسها بين ذراعيها .

انفتح باب المدخل بعنف وتعرفت في لمح البصر على الرجل الذي فتحه . قال "براد" بانفاس لاهثة :

- لقد نسيت شيئا .. لقد اردت بشدة أن اراك تبتسمين .. والآن انا سعيد .. وإلى اللقاء .

صاحت :

- انتظر !

ولكن الوقت فات .

مر يومان دون أن تسمع "إيلينا" شيئا عن الطبيب . وها هو يعلن حضوره اليوم للغداء.لقد قال لها :

- بسرعة وانا واقف لانني لابد أن أعود للمستشفى .

انتهت الوجبة ومرت نصف ساعة من الحديث قبل أن يعلن :

- هل ستساعدك في غسيل الأطباق ؟

شكرته بابتسامة . منذ أن عرفته وهي تقدر شيئا فشيئا رقته وتفانيه في عمله . وكان من الواضح أن الأعمال المنزلية لا تزعجه بعكس "كيرك" الذي كان يرفض بطريقة قاطعة أن يخضع لتلك الأعمال بدعوى انه لن يضيع وقته في أعمال مماثلة .

وكان "براد" يتمتع بخصلة نادرة . إنه يعرف كيف يبذل كل اهتمامه لكل من يحيطون به . وكان هذا واضحا مع "بتسي" . ويحب مشاهدتها وهو يسهر على راحتها ويرشدها حتى لا تسقط ويسري عنها عندما تخرج من حلم مزعج .

ولكن منذ آخر زيارة بدا وكأنه يتباعد عن "إيلينا" وقد دهشت هي من ذلك . ومع ذلك كانت تجده رائعا في أوجه تصرفاته الأخرى . لقد كان عقلها مشغولا بآلاف الأسئلة نحوه . سألته فجأة :

- ما الذي دفعك لأن تستقر في "أوريجون" ؟.. لقد قصصت علي من قليل أن جزءا من عائلتك تعيش في "بافالو" .. وهو أمر مثير للحيرة .

- هناك جذور من الصعب قطعها مرة واحدة . لقد كانت زوجتي السابقة من هذا الركن . وعندما تركت الجيش أرادت أن تعود إلى منطقتها .

أمسك بالأطباق النظيفة ورصها بطريقة آلية داخل دولاب المطبخ. استأنف حديثه :

- مر وقت طويل بعدها أدركت هي أن الحياة العسكرية ليست هي التي تضايقها ، وإنما زواجها بي هو الذي كان يزعجها . وأنا من ناحيتي لم أكن أريد تغيير المكان . وعليه تم الطلاق بيننا ورحلت هي إلى "سان فرانسسكو" وهناك حسب قولها بدأت الأمور تتحرك بالنسبة لها وأعتقد في الحقيقة أن هذا ما كانت تسعى إليه.

- اعذرني إذا كنت فضولية ، ولكني كنت أجهل ذلك . وأتعشم ألا تكون قد أنجبت أطفالا ..

- لا .. لقد قررنا الانتظار خصوصا أنني ارتبطت بها مدة خمس سنوات وأعتقد أن تلك المدة كانت بالنسبة لنا بمثابة شهر عسل طويل.

ثم فجأة انقطعت تلك الصلة .

غامرت بالسؤال :

- هل تشتاق إليها ؟

ابتسم "براد" ثم هز رأسه :

- أتدرين ؟.. بعد ما يزيد عن أربع سنوات فإن الشعور بالندم ينتهي. لا . لم أعد أشتاق إليها . ولقد شطبت كل ذلك وأصبح الأمر أفضل الآن .. لقد كان تفاهمنا ظاهريا .

نظر إليها فوجد لديها تعاطفا شديدا مع قصته :

- يبدو أنك مضطربة .. إنك تأخذين الأمر مأخذ الجد وتتأثرين بعمق بمصير الآخرين .

احتجت "إيلينا" في صمت .. إنها الوسيلة الوحيدة للدفاع التي نجحت في اكتشافها . من الواضح أن "براد" على بعد مئات الأميال من الشك . في الحقيقة . استأنف الحديث :

- على ما يبدو لي فإن كل العالم له الحق في اهتمامك به سوى أقاربك الأقربين . وهذا مثير للتساؤل والفضول وقد يكون نوعا من الظلم . الناس جميعهم في حاجة ماسة لأن تحبيهم وأن يشعروا بأنهم محاطون برعايتك ومساندتك . أنا أكبر إخوتي الخمسة ومع أمي نكون عشيرة . نحن متفاهمون ويساعد كل منا الآخر . نحن مثل أصابع اليد الخمسة وبالنسبة لنا لا يوجد ما هو أقدس من الأسرة .

صمت فترة وكأنه يبحث عن علامة الموافقة على وجه محدثته . ثم أكمل أمام عنادها الصامت :

- بعض العواطف لا يمكن وصفها . ولكنك يا "إيلينا" ... ألم تحسي بهذا النوع من الأشياء ؟

حدست "إيلينا" : ماذا يريد أن يصل إليه بالضبط ؟ إنه يسعى إلى حصارها وإسقاط كل دفاعاتها حتى تبوح له بكل شيء ، وأن ينتهي بها الأمر بشرح العلاقات بينها وبين "كيرك" .

قالت في نفسها : "إنه لا يشك في مدى مقاومتها وهو يتصور أنه يستطيع أن يكسر قوقعتي ولكنه يخدع نفسه . إن ماضيَ ملكي !"

www.elromancia.com

ظلت تنظر من النافذة في عناد حتى توضح لهذا الغريب ، أنها ليست لديها النية في الدخول في محادثة شخصية . ومع ذلك كان عليها أن تعترف في قرارة نفسها أن ما يعتقده عنها صحيح ، وأن أي إنسان لا يستطيع أن يعيش بلا حب وأنها تعرف ذلك . ولهذا السبب أظهرت ضعفها الشديد مع "كيرك" . لم تسمع الشابة سوى قلبها ودفنت رأسها في الرمل لأنها كانت تؤمن بالحب الكبير . لقد أعطت كل شيء لتكتشف فيما بعد وبعد فوات الأوان أن الرجل الذي اختارته لحياتها مثل عليها دورا هزليا .

وماذا لو بدأت نفس الحكاية مع "براد" ؟ وماذا لو أن العاطفة الشديدة التي يظهرها لها ما هي إلا وهم وزيف ؟ ماذا لو أنه ينصب لها شركا ؟

خطت خطوة جانبية وكأنها تصنع مسافة بينهما . حدجته بنظرة خاطفة وراته يقترب . تملكها خوف ففتحت باب الحديقة وسارت نحوها دون أن تلتفت خلفها . ولكنه تبعها وأحست بيد ثقيلة تمسك بكتفها . وقفت وأجبرت نفسها على أن تنظر إلى عينيه مباشرة . سألها :

- هل أفهم من ذلك أنك تهربين مني ؟

- لا .. لماذا ؟ إن الجو رائع وأردت أن أستفيد منه .

- هيا يا كاذبة ! لا تحاولي أن تمثلي علي هذه التمثيلية الصغيرة . اتفقنا ؟

- لقد أسأت فهمي دون شك .

كان صوتها ينقصه الثقة وفهمت فجأة أنه لا فائدة من محاولة إنقاذ

ماء وجهها . أخذت عيناه الزمرديتان تفحصانها وهي لا تستطيع أن تفعل شيئا أمام قوتهما المغناطيسية . سألته :

- ما رأيك أن نتحدث أفضل عنك ؟ اشرح لي كيف تعرف جيدا أن تتفاهم مع الصغار ؟

- إنها عادة قديمة ! عندما يكون لدي أبناء وبنات عم فإن المرء يتعلم بسرعة .

- و... "مارجو" ما تشخيص حالتها الآن ؟

- نفس الشيء .. حالة مستقرة .

بدا الأسف على وجه "إيلينا" وتنهدت وخانتها الكلمات . إنها لا تسأل الآن عن حالة "مارجو" فحسب وإنما أيضا عن حالة "براد" الذي يصارع المستحيل والمأوس منه كل يوم يمر عليه . وهي تريد بكل قوتها أن تسري عنه .

لم تفهم "إيلينا" سر هذه الرغبة المفاجئة وهي التي عادة ما تكبت نزواتها العنيفة .

ولكن "براد" يبدو أحيانا في منتهى العنف والتعاسة لدرجة أنها ترغب في مساعدته وطمأنته ضد شكوكه وهواجسه .

بحركة عفوية فجائية مالت على العشب وانتزعت وردة حمراء ألقت بها من فوق السياج . تركها "براد" تفعل ذلك ثم اتجه نحو حوض الزهور وقطف قرنفلة وضعها خلف أذن الشابة . ابتسم وراقبها مدة طويلة ثم لم يقل كلمة وهو يتجه بهدوء وليونة نحو الدواب .

انطلقت السيارة الخضراء تاركة "إيلينا" وسط أشجانها الجديدة..

# # #

www.elromancia.com

- ولكن ماذا تفعل يا "براد" ؟ اللعنة !. ما هذا الإيقاع ؟ أنت تدفع المجداف أكثر .. نعم أم لا ؟ يا إلهي ! إنك تجدف في الهواء!

رد "براد" هامسا وهو يلتفت بصعوبة للخلف :

- حسنا أيها العجوز .. لا داعي للعصبية .

أخذ القارب يسير في خط مستقيم للأمام فوق سطح البحيرة وانهمك في اتباع الوتيرة التي فرضها عليه زملاؤه . كانوا قد رحلوا بالقارب في الساعات الأولى من النهار ولم يفقد زملاؤه تركيزهم على الإطلاق . كانت ركبهم مثنية وأذرعهم ممتدة وجذوعهم مشدودة وتقدموا إلى الساحة المائية الممتدة إلى ما لانهاية وكان العرق يسيل على وجوههم المبللة .

من الواضح أن "براد" لم يستطع أن يتبعهم لقد أنهكته وردية الليل ولم ترغب روحه المعنوية ولا جسده أن يعملا . حتى الفجر كان عليه أن يستميت في الصراع ولكن دون جدوى . كان الجريح قد نقل للطوارئ في حالة حرجة واستهلك الطبيب جهده في ممارسة تدليكات قلبية إلى أن أصبحت العلامات على جهاز رسم القلب مستوية . وبحركة متعبة فصل الجهاز . وبعد خروجه من الخدمة ذهب مباشرة إلى ناديه ليحاول أن يستريح وكي ينسى أيضا .

كانت صيحات الكابتن الرتيبة لتشجيع الفريق قد أخرجته من مرارته . كان مجدافه يشق الماء بكل دقة واستنشق الهواء بعمق .. لابد أن يلقي بنفسه في التمرين دون التفكير في شيء آخر مثل "إيلينا" وهي تضع لمساتها الفنية بالفرشاة على اللوحة .

تخيل "براد" الشابة وهي جالسة على مقعد الرسم وعيناها مركزتان

على اللوحة . إنه يحب مشاهدتها وهي ترسم ويحس بسرور لا تشعر هي بمداه .

آه لو علمت "إيلينا" ! لو عرفت مدى الألم والصعوبة اللذين يبذلهما في سبيل اختلاق الحجج حتى يزورها . مثلا بالأمس أضاع ساعة كاملة حتى يلتقي بها مدة دقيقة . لمجرد أن يراها . إن "بتسي" تكون نائمة دون شك وهو بالضبط ما توقعه ببساطة . فعل ذلك من أجل رؤية "إيلينا" وحتى لا تجد غرابة في حضوره الكثير للمنزل . ثم إن الأمر واضح : إنه لا يستطيع أن يعيش دون وجودها ، وحتى لو أنه لا يقص عليها الأمور الرهيبة التي تحدث في المستشفى ، فإنه يستطيع الاعتماد عليها وعلى اهتمامها وعلى رقتها . إنها شابة أيضا وعندما تضحك مع الطفلة فإنها تخلق حولها مرحا شديدا ، باختصار تعيد الشابة إليه طعم الحياة.

ظل "براد" شاخصا ببصره من فوق المجداف الذي أمامه وراقب البط الذي يسبح فوق سطح البحيرة بالقرب من الشاطئ .

سرعان ما عادت أفكاره إلى الطريق الذي حاول أن يتجنبه . وجد نفسه في البيت المليء بالضوء وبه كرمة العنب التي تصعد الجدار وهو مع "إيلينا" التي تشعل البيت بهجة وحبورا . نعم إنه أجمل الملاجئ . لم يبق إلا أن يسكن فيه ... صاح رئيس الفريق :

- إذا استمررت على هذا المنوال أيها الأب الصغير فإنني سألقي بك إلى الماء .. إنني أشرت لك أننا موجودون !

- أرجو المعذرة أيها الرفاق ولكني أحس أنني لست في حالتي الطبيعية .

- لقد لاحظت ذلك . هل أنت عاشق أم ماذا ؟

لم يكلف "براد" نفسه بالرد . مال على مجدافيه وبعد عدة دقائق قفزوا خارج القارب وسحبوه إلى الشاطئ .

- هل ستحضر لتناول شراب منعش ؟

- لا ، شكرا فلدي ما افعله .

وجد "براد" نفسه في حالة إحباط تام والنهار يمر عليه ببطء . لم يحس في الحقيقة بهجوم هذا الإحباط وتطوره إلا عندما عبر بوابة سور معين وجلس في صالون بعينه مالوف عنده وساعة تناول المشروبات المنعشة ...

لم يصمت "براد" إلا بعد أن شرح بالتفصيل جدول أعماله إلى "إيلينا".

- أرجو أن تعذريني لأنني ثرثار ولا شك أن حكاياتي الصغيرة لا تثير اهتمامك .

- ولكن لا .. بالعكس فإن حياتك مليئة أكثر من حياتي .

وحتى تقنعه بمدى صدمتها ضغطت على يده الموضوعة على يدها بقوة ونعومة في آن واحد لقد قامت بهذه الحركة عشرات المرات ولكن في الحلم . وكان "براد" قد شعر بالرجفة من رد فعله الذي لم يستطع إخفاءه . ابتعدت "إيلينا" بطريقة غريزية . كانا جالسين على الأريكة المصنوعة من الخيزران ولا يستطيعان الحركة وكان كل حركة لا يمكن علاج آثارها . قال بصوت مخنوق :

- لم أكن أرغب في أن أضيع وقتك ، ولكن لو كانت لديك رغبة في العودة إلى لوحة رسمك فلا تهتمي بوجودي .

- في الحقيقة هذا ما يجب أن أفعله . خاصة أنني أخشى أن ينفد صبر الناشر ولكن ابق : فإنه من الممتع العمل في وجود صحبة .

بدأت إذن "إيلينا" تعمل .. اذابت الألوان في علبة خاصة لذلك وبعد أن بللت طرف الفرشاة انهمكت في الرسم بها . سرعان ما ستنتهي من اللوحة . قالت له فجاة وهي تدفع رسمها جانبا :

- متى تفكر في فتح عيادتك الخاصة ؟

- كان بإمكاني أن افعل ذلك من بضعة شهور ولكني أفضل الاستمرار في فترة النيابة الحالية . فإن ذلك يتيح لي التخصص في طب الطوارئ . لأنه هو الذي يلقى اهتماما . وهذا المجال لايزال حتى الآن غير مطروق وأحس أنني أستطيع أن أقوم باشياء تستحق الاهتمام بالنسبة للمرضى .

- هذا ليس بغريب عليك . فمرضاك أهم عندك من أي شيء . أليس كذلك ؟ ولكنه يحدث لي أن أفكر في أنك تضحي بالكثير من نفسك وسينتهي بك الأمر بأن تمنح المهنة كل حياتك . ألم تشعر في يوم ما بحاجتك إلى هجر هذه المهنة والقيام بشيء آخر أكثر دنيوية ؟

- نعم .. ربما .. ومع ذلك فالأمر ليس بهذه البساطة . إنني أحيانا أحس أنني أسير على حبل ولا أعرف متى سينقطع . وكما يقولون : لابد من كبح جماحي بأسرع ما يمكن والترفيه عن نفسي من عناء سيارات الإسعاف والشرطة والنقالة والقناع الطبي وزجاجات المحاليل وخيمة الأكسجين . إن الأمر يتطلب أقل قدر من الحركات وأكبر قدر من برود الأعصاب لإنقاذ حياة المريض لو أتيحت الفرصة لإنقاذها .

ولكن عندما يدخل الإنسان المعركة فإنه يصبح مثارا ومندفعا فور

www.elromancia.com

ارتداء القفاز الطبي . ثم إن الموت شيء قبيح للغاية .

- هل لدى زملائك نفس الشعور بالواجب ؟

- نعم والممرضات اللاتي نراسهن لا يشعرن بغير ذلك . إن هذا يسمى الوازع الداخلي .

- أو التضحية بالنفس والتفاني . ولابد ان ذلك لا يتواءم مع الحياة العائلية .

- إنه اختبار . ولكن علي أن أعترف بان التفاني في العمل والتضحية بالنفس ينتهيان بالإنسان إلى الشعور بثقل المهمة .

حولت "إيلينا" مقعد الرسم الذي كانت جالسة عليه وانهمكت في عملها ولكنها أحست بانها غير قادرة على الاستمرار . لقد تحدث "براد" عن أمور جادة . إن مهنته لها معنى لأنه مفيد للآخرين وتتطلب منه دائما أن يضحي ويتغلب على مصالحه ، ثم في كلامه اعتراف رهيب جعلها تضطرب : إن حياته الخاصة لا يمكن إلا أن تكون في وحدة .

زفرت "إيلينا" ثم انغمست في الوانها .

تحركت شخصيات ساحرة صغيرة تحت يديها ، وظلت فترة طويلة ترسم ابتساماتها المشوبة بالدموع ، وتتسع حدقتا عينيها أو تقطب جبينها وهي ترسم جروا حوله طوق "الهولا هوب" ، وآخر يقفز من حلقة في السيرك ، أو قزما يضرب الطبول . كانت أصابعها تتبع خيالها في خضوع ومسكنة ، واكتسبت الصفحات حياة عن طريق الخطوط وبقع الحبر .

كانت الفنانة مستغرقة تماما في عملها حتى إنها لم تسمع "براد"

وهو يقف خلفها وعندما وضع كفيه الدافئتين على كتفيها توقف قلبها . قال وهو يضحك :

- مرة أخرى حالة من الفزع وتصابين بأزمة . إنه شيء مجرب وليس مجرد تباه بشعارات الكلية .

همست :

- هل هناك من مزيد ...

www.elromancia.com

الفصل السابع

لم يكن من الطبيعي أن تنتهي محادثتهما عند هذا الحد بل تحولت إلى لغة العيون التي أخذت ترسل موجات كهربائية متبادلة بين الطبيب والفنانة والتي ربطتهما بطريقة غامضة خفية وأشعلت في أعماق عيونهما لهيبا مضطربا ومتوحشا .

همس لها "براد" في صوت مختنق من العاطفة :

- "إيلينا" ... منذ اللحظة التي رأيتك فيها لم يعد لي رغبة سوى ألا افترق عنك . والآن بالذات أجد من الصعب الابتعاد عنك . وانني أريد أن تكوني لي .

ألقى "براد" برأسه للخلف وأصبح تنفسه ثقيلا . بدا وكأنه يصارع بكل قواه ضد شيء رهيب ومجنون ومؤلم . وضد أذى يجعل كل جسمه يتعذب ويشتعل . وشاب عينيه بريق قاس وهو يتأمل "إيلينا"

وكأنه فريسة منومة مغناطيسيا من نسر جارح.

أما "إيلينا" فقد غمرها هذا الشعور الغريب الفياض . أحست لأول مرة بأنها أنثى تثير إعجاب الرجل ونزواته . وكان إحساسا رائعا ولذيذا جعل كل روحها وجسدها وعقلها يغرق فيه .

كانا هائمين في دنيا الحب الخيالي عندما صدر فجأة صوت جهاز النداء الآلي الموجود في جيب "براد" . تجهم وجهاهما معا ثم فجأة انطلقا في الضحك ، قال "براد" في ثورة :

- خبريني أن ما أسمعه ليس حقيقيا ! لقد اختاروا اللحظة القاتلة.. آه لو استطعت يوما أن أجد وسيلة للهرب .

زمجرت "إيلينا" في ضيق :

- إنني أكرههم .

- وما رأيك لو تظاهرت بعدم سماعهم ؟

- أنت لا تملك هذا الحق وتعرف ذلك جيدا .

نظر "براد" في عينيها مباشرة :

- أتدرين الحالة التي تضعينني فيها ؟ إن الأمر سهل . يكفي أن اقترب منك حتى أصبح مجنونا .. كم أريد أن أبقى .. وللأبد ..

همست له وهي تضع يدها على فمه لتمنعه من الكلام :

- هيا اذهب .. ولكن عد بسرعة .

رفع سماعة التليفون ليعلن عن وصوله . صحبته "إيلينا" إلى الباب ويدها في يده . أحست بأصابعه تقبض على أصابعها بقوة حتى بدا من الصعب افتراقهما . رفع "براد" يدها إلى فمه ليودعها:

- أعتقد أنه لابد من الرحيل قبل أن يصبح من المستحيل وإلا فقدت

www.elromancia.com

صوابي .

رحل بعد ذلك ولم تستطع "إيلينا" أن تنطق بكلمة واحدة من الصدمة التي تلقتها .. لقد هرب .

إنه لم يفكر في أن يتحفظ في مشاعره . وماذا عنها هي ؟ لقد عملت في لحظة على إحباط كل مشاعره الفوارة . لقد انقطع السحر وها هي وحيدة مع رغباتها - التي لم تشبعها - وندمها .

خلال الأيام الأربعة التي تلت ذلك انتهى الأمر بـ"إيلينا" بالاقتناع بانه عاد نهائيا إلى عالمه المكون من أبواق الإسعاف والشرطة الرهيبة والصراع دون رحمة والذي دائما ما يخرج منه منهك القوى والنفس . ولكن هذا عالمه الخاص وهو محتاج إليه ليعيش . لا شك أن "براد" لا يحس بالراحة إلا وسط القلق والعجلة والاندفاع.

عندما اتصل بعد ظهر الأحد كانت "إيلينا" قد تعودت غيابه وأحست بالدهشة . وعلى الطرف الثاني من الخط بدا صوته جافا ليعلن لها أن "مارجو" قد استعادت بعض قواها وأنها بدات تخرج شيئا فشيئا من حالة فقدان الوعي . ومن الواضح أن المريضة الشابة طلبت أخبار ابنتها ورجت "إيلينا" أن تكتب لها . وقام "براد" بدور الوسيط واكتفى بنقل الرسالة .

وضعت السماعة وهي حائرة مضطربة . كيف استطاع أن يبدو غير مكترث لهذه الدرجة ؟ هل نسي هكذا بسرعة ؟ من الواضح انه اتخذ بسرعة قرار التخلص منها . إنه طبيب ولا يريد أن يشغل باله بمشاكل لا طائل من ورائها . لقد كان الأمر بالنسبة له في منتهى السهولة أن يمثل عليها هذا الدور وأن يجعلها تعتقد انه لا يفكر إلا فيها والآن

يحدثها وكانها شخص عادي .

ما لم يكن هذا العاشق الـ"دون چوان" يجد من المسلي أن يغوي النساء ثم يهجرهن حتى يتوسلن إليه .

حسنا مادام الأمر كذلك فإنها لن تجعله يهنأ بهذا المرح والتسلية. وستلتزم باوامره وبصفة نهائية . نزعت ورقة من نوتة المذكرات ولديها نية أن تكتب رسالة قصيرة لـ"مارجو" .

ولكن بمرور الوقت زادت رغبة "إيلينا" أن تقدم لأم "بتسي" شيئا أثمن من مجرد كلمات مكتوبة . أخذت تخترع مسودات لمناظر فيها ابنتها الصغيرة . وقصت عليها رحلاتها وفترات راحتها ومرحها وأحزانها الكبرى ومداعباتها مع القطة "هاريسون" .

لقد أرادت أن ترى "مارجو" حية وسعيدة .

ولما كانت الكلمات غير كاملة والجمل جافة أحيانا تركت الشابة الفرشاة ثم أمسكت بالكاميرا وأبصرت وجه الطفلة وسجلت حركاتها وخديها المكورين وانفها الملوث وجسدها الصغير العاري ثم وهي تتعثر في السجادة .

وعندما تتحسن أمها ستقيم مع ابنتها هنا وستقضي ساعات أمام فيلم الفيديو الذي لا رأس له ولا ذيل . وستستفيد من كل الزمن الضائع وكان ابنتها لم تتركها ولا دقيقة .

كانت "إيلينا" تحلم بهذه اللحظة وكان هذا الهدف الذي حددته قد انقذها من الإصابة بالهوس . وحتى تملأ فراغها كانت تلعب كثيرا مع الطفلة وتذهب كثيرا إلى جارتها "تيري" لشرب الشاي وتثرثران في مختلف الموضوعات .

ولكن عندما تعود إلى بيتها والطفلة نائمة على كتفها فإن شبح "براد" يعود ليطاردها . نعم إنها تشتاق إليه ، وهي لم تعد تعرف كيف تتغلب على نفاد صبرها .

وفي العديد من المرات تخيلت "إيلينا" أنها اتصلت به ثم تراجعت دائما لأن كل المبررات لا تصلح لشيء . إنه سيهزأ بها وسيغلق السماعة في وجهها . وانتهى بها الأمر إلى أن استقر رأيها عندما أصابت "بتسي" حمى في مساء أحد الأيام . كان وجهها الصغير مشدودا ولم تكف عن التذمر . ولكن الذي أقلقها بصفة خاصة هو جبينها المشتعل والتشنجات في أعضائها . لقد ظهر على الصغيرة كل أعراض الالتهاب السحائي لا شك في ذلك .

عندما طلبت الطوارئ ردوا عليها بأن الدكتور "برادشو" لا يمكن الوصول إليه وأن جهاز الاستدعاء الآلي لا فائدة له لأنه ليس في الخدمة .

أخذت "إيلينا" تعض شفتها قلقا وأحست بالدموع تصعد عينيها . كيف يختفي هكذا في الوقت الذي تحتاج إليه فيه بشدة؟ ثم هذه الآلة اللعينة التي فصلها عن الاتصال اليوم بالذات ولكن "بتسي" مهددة بالموت . يجب أن تفعل شيئا وبسرعة . ردت عليها الممرضة المناوبة :

- اسمعي .. لا داعي للنواح واتصلي بالطبيب الخاص . إن الطفلة لها طبيب أطفال خاص .. أليس كذلك ؟ انقليها إليه ثم كم درجة حرارتها ؟

كانت "إيلينا" عاجزة عن الرد على السؤال وفي حالة يأس ظلت ممسكة بسماعة التليفون دون أن تجرؤ على غلق الخط . أحست بأن

مخها فرغ في لحظة واحدة . ظلت فترة طويلة واقفة وهي ترتجف بكل جسمها في الصالون وعلى وشك الانهيار . اضطرها رنين الباب أن تفيق وتتحرك . كانت "تيري جرين سبان" واقفة على عتبة الباب ونظرت إليها في قلق :

- هل هناك متاعب يا عزيزتي ؟ إنني أسمع الطفلة تصيح وتصرخ من مدة طويلة وبلا انقطاع . لابد أنها الأسنان .. إنها تسبب لهم دائما ذلك . أما بالنسبة لك فيجب أن تهدئي وتنامي قليلا . إن الأطفال دائما لديهم القدرة على توتر أعصابك . وأنا لدي الخبرة التي تدعني أقول ذلك .

قررت الجارة أن تمسك بزمام الأمور التي تصبح معها في منتهى السهولة . دهنت لثة "بتسي" بچيلي طبي مخصوص له طعم الفراولة يسحر كل الأطفال .

نامت الطفلة في الحال و"إيلينا" التي كانت تسهر على مهدها لم تتأخر عن تقليدها . كانت قد أنهكت من انفعالاتها فاستغرقت في نوم عميق خال من الأحلام تحت الأغطية النظيفة . وقد رفعت ركبتيها حتى بطنها مثل الجنين في بطن أمه .

عندما انتزعها جرس الباب من نومها الهادئ ارتدت بصورة تلقائية روب المنزل وأخذت تتحسس طريقها مثل الرحالة النائمة وسط الضباب :

تساءلت : متى يكفون عن إزعاجها ؟ ألا يمكن أن يحضروا في ساعات عادية ؟ إن من عادة "براد" أن يجبر الناس على اتباع نظامه المليء بالمفاجآت . لاشك أنه أعد دفاعه وادعى أنه أحس برغبة في رؤية

www.elromancia.com

الطفلة وهلم جرا .

بدأ قلبها يضطرب . إنه خلف الباب والآن لابد أنه فارغ الصبر . سوت "إيلينا" شعرها ورسمت ابتسامة : لا .. لم يكن هو .. أحست بالخيبة ، وشخصت ببصرها بعيدا إلى الحديقة ولم تشاهد سوى الفراغ من المحتمل أن هناك خطا .. أو إحدى سخافات واحد من شباب الحي الرقيع . كانت ستستدير عندما انطلق نحيب بجوارها. خفضت عينيها وتعرفت على هيئة طفل صغير بارتفاع درجات المدخل الثلاث ، تعرفت في الحال على العينين بندقيتي الاستدارة واللون والكتفين المتهدلتين . صاحت :

- "باتي" ! ولكن ما الذي حدث لك ؟

- أنا خارج البيت . هل تريدين مني أن أحضر عندك لانني اشعر بالبرد وقدماي مجمدتان ؟

- بالطبع ودون شك ولكن اشرح لي هل عوقبت ؟ الم يسمعك والداك وانت تطرق الباب ؟ واين شقيقك ؟ خذ هذه السترة من الصوف وقص علي .. أليس معك المفتاح ؟

- ليس دائما .. ثم .. إن "بيلي" عند صديقه "كيفين" ووالدي رحل ليعمل ، وامي نائمة .

- لا تقلق فلدي رقم تليفونها وساخبرها .

صرخ الصغير فزعا .

- لا ... هذا بالاخص .. لا يجب . لقد اخبرني ابي بانني لو ايقظتها فسيقتلني حيث الساعة لم تصل إلى الثامنة مساء .. إن هذا ممنوع . ولكني لا استطيع أن ابقى مع التليفزيون . ولأن اليوم هو عيد ميلاد

ماما ولذلك اردت أن اقطف باقة ورد كبيرة من الحديقة .. ولكن عندما خرجت فإن الباب قد اغلق .

ابتسمت "إيلينا" وربتت خده :

- سنقوم بإصلاح الأمر أيها الأرنب المذعور . وكبداية ساعد إفطارا شهيا ناكله معا .. موافق ؟

- هل أطلب قائمة الطعام الآن ؟ حسنا أريد لحما مقددا مع بيضة صفارها لا يسيل وسجقا واذرة بالكراميل وفنجانا من الشوكولاتة الساخنة مملوءاً للآخر . وهل تعتقدين أن من حقي الجلوس في الخارج ؟ ساحتفظ بالصدار الصوفي واحرس المنزل .

- هل انت واثق بان عينيك في اتساع بطنك ؟ اعتقد أن الأمر كذلك ولكني افضل التوست ، وإذا اكلت كثيرا فستكبر مرة واحدة ، واؤكد لك ذلك .

عندما قفزت شرائح التوست من التوستر ذهبا فوق النجيل وكانت الشمس خفيفة والهواء منعشا . راقبت "إيلينا" "باتي" وهو يلتهم طعامه بشراهة ويلتقط من فوق ركبته المربى التي سقطت عليها .

كان غريبا أن تجد نفسها تسهر على طفل في الخامسة من عمره بينما طفلة لم تبلغ الخامسة لن تتاخر في الاستيقاظ وتبدأ تغريدها وزقزقتها في حجرة الضيوف . أحست "إيلينا" بالسمو والسكينة في دورها الجديد كام . اعترفت أنه أحيانا من الصعب القيام بهذا الدور ولكنها الآن تتصرف بحركات واثقة وتعرف الكلمات المؤثرة في الأطفال. تمنت في لحظات أن يكون "كيرك" بجوارها ويراها وهي تتصرف ببراعة ويعرف تماما غلطته . وهو الذي جعلها تؤمن تماما

ببراعة أنها لن تصبح أبدا امراة كاملة .

تمددت "إيلينا" على العشب وتمطت على راحتها . لايزال أمامها طريق طويل تقطعه قبل أن تنجح في التغلب على أي موقف يواجهها . ولكنها كانت تتفجر نشاطا . كل شيء سيحدث في وقته ويكفي أن تنتظر وأن تتبع في خضوع مجرى الأمور .

وكان "باتي" الذي شبع من تلقاء نفسه وتعب من محادثة الفراشات حتى لا يشعر بالضجر بدأ ينشج كبداية للبكاء . قال لها من بين نشيجه :

- لماذا دعوتني ؟ بل إنك قصصت عليّ حكايات وأنا لا أحب بيضك لأنه مثل المطاط .

مط الصبي فمه احتقارا وهز كتفيه .

كانت قد غيرت للطفلة الصغيرة والبستها ملابسها في غمضة عين ولكنها بدأت تتلوى وهي تستخدم معها الچيلى الخاص بالأسنان . فجأة ودون سابق إنذار انطبق فكا الصغيرة على إصبع المربية الشريرة ... رفعتها الشابة من عنقها وسحبتها إلى المطبخ ودون أن تنتبه داست على ذيل "هاريسون" . التي قفزت في عصبية فوق الحلوى وسكبت زجاجة زيت حيث انتشرت على البلاط في اللحظة التي جاء فيها "باتي" ليقوم بدورة تفتيشية وظهر وهو يجري . انزلق الصغير وفقد توازنه واصطدم رأسه بركن المائدة وهو يطلق صراخا يوقظ الموتى . انفجر الدم وبصق المصاب وهو يتراجع وأخذ ينشج بصوت رهيب . أما الطفلة فبحركة استقلال القت بالمرضعة من النافذة وفي هذه اللحظة بالذات رن جرس التليفون رنينا متواصلا تلاه جرس

الباب .

ظنت "إيلينا" أنها ستفقد عقلها . ومع ذلك فإن الأساس هو أن تتصرف بسرعة . سارعت نحو الباب وفتحته وهي تتوقع أسوأ الاحتمالات . قال "براد" :

- هاللو ! كيف حال الأسرة ؟ أوه يبدو أنها كبرت . هل لديك نية افتتاح مكتب إحسان ؟

- الأصح أنها قاعة المعجزات ساشرح لك ولكن دعني أولا أرفع سماعة التليفون .. هل يمكن أن أعطيك الصغيرة ؟

جلس ووضع "بتسي" على ركبتيه وأخذ يداعب ذقنها وقال لها:

- يبدو عليك الجوع .. ولكن دعينا أولا نر هذه المرضعة .. لقد أفسدتها يا عفريتة !

قال "باتي" الذي كان يراقبهما مؤيدا كلامه :

- هذا أمر طبيعي ! إنها لا تعرف كيف تستخدمها .

- ولكن ما هذا الذي على جبهتك ؟ ومن أين أتيت ؟

- أنا الصديق الجديد لخطيبتك . وقد وقعت لي حادثة . وكل ذلك بسبب النمرة . وهذه تؤلمني جدا جدا وحتى أشفى لابد من أن آكل "بسكويت" هل يمكن أن تتكرم وتحضره لي يا سيدي ؟

قالت الشابة وهي تدخل المطبخ :

- إنه يلعب دوره ببراعة .

قال "براد" وهو يضحك :

- هيا .. كل الناس يذهبون إلى الشرفة .

اندفع الفريق السعيد وراءه وبدءوا الصياح في الحديقة . كان

www.elromancia.com

الوقت لايزال منعشا والنسيم ينشر رائحة الورد . كان نهارا يعطي الإنسان الرغبة أن يعيش ويسعد ويحب . قالت "إيلينا" في سرها : إنه فعلا يوم يدعو للحب بصفة خاصة .

نظرت بطريقة موارية إلى ذلك الرجل الساحر الذي ثنى ساقيه تحته.

قال "براد" وهو يبتسم :

- إنها حضانة في الهواء الطلق .. يا لها من رفاهية ! هل يمكنني تقييد اسمي ؟

أمسك بيدها بحركة رقيقة جعلتها ترتجف . فجاة قال لها في قلق:

- ولكن ما الذي حدث لعقبك ؟

- إنه مجرد خدش من "هاريسون" .

- دعيني أر .. إنها متورمة بعض الشيء .

رفع طرف بنطلون البيجاما القطنية واخذ يضغط على الجرح برقة . أغمضت الشابة عينيها . قال :

- ساقوم باستخدام ماء الاكسجين ورباط ضاغط وكل شيء سيختفي غدا .

دخلت السيدة "تيري" في تلك اللحظة وقالت بوضوح :

- حسنا .. لا مكان لي إذن هنا . لقد أحضرت قدحا من القهوة.

فتحت ذراعيها على اتساعهما نحو ابنها قائلة :

- صباح الخير يا بني . إنك دائما تبالغ وكان عليك أن تترك السيدة والسيد في هدوء .

قالت "إيلينا" :

- مرحبا بك . أقدم لك الدكتور "برادشو" .. لقد كنا .. كان يفحص قدمي .

- يجب ألا يتقيح الجرح ! واتعشم أن يكون رجل الطب قد قام بالواجب . ولكني سأسرع فقد جئت خصيصا لاستعادة ابني الرهيب. إلى اللقاء قريبا.

لوحا لها بيديهما وقال لـ "إيلينا":

- تعالي أفضل غسل هذا الجرح بمطهر وإلا فستعرجين.. ثم إنني يا حبيبتي لم أكف عن التفكير فيك ليل نهار ولم أكف عن أن أحلم بك واعتقدت أنني لن أتحمل عدم رؤيتك وكأنني فقدتك من دهر.

همست:

- وأنا كذلك. لقد وعدت بالعودة ولم تفعل ولكني اشتقت إليك بدرجة رهيبة.

- إن صورتك لم تفارق خيالي قط.. إنني أستطيع أن أتحدث عنك وعما صنعته بي أياما طويلة لقد تبعتك في أحلامي وأردت أن أراك في ذلك الروب الشفاف الذي اشتريته ثم أخفيته . باختصار إنني أحب كل شيء فيك . ولكني أتساءل : لماذا تظلين حريصة ومحتشمة ، وكأنك تريدين إخفاء عيوب جسدك في حين أنك تملكين جسد "فينوس" ؟!

فتحت "إيلينا" فمها لتعترض ولكنه سارع بوضع يده على شفتيها :

- لا تأخذي بالك .. أنا أحبك ولا أعرف ماذا أقول ..

فجاة نظر إلى ملابسها العادية الفضفاضة وقال :

- لا ينقصك سوى قبعة وثوب رصاصي لتصبحي راهبة .. إنه أمر محزن في رأيي .. إنك تحاولين أن تخيفيني . وقد نجحت في ذلك

www.elromancia.com

تماما ولكني أحب أن تتخفي في صورة حورية البحر أو راقصة من نساء السلطان .

أعتقد أن هذا ما يناسب جمالك .

صاحت "إيلينا" في غيظ وتوتر:

- هناك أماكن تستطيع أن تجد فيها طلبك .

- لقد أردت فقط أن تبدئي بإغرائي كما فعلت من قريب .. هل هذه جريمة ؟

فجأة تغير اللون الرمادي الصافي في عينيه إلى لون قاتم وقال:

- إنك تحتقريني ! أؤكد لك ذلك !

- عفوا ؟ ماذا تقصد ؟

- متى يمكن أن نصبح بمفردنا معا ؟ ولو وقتا قصيرا لا أكثر ولا أقل .

- هذا يعتمد أساسا عليك أنت وقد يكفي أن تعيد تنظيم حياتك.. مثلا أن تصل إلى التخلص من كل القيود المهنية المعروضة عليك.

ازداد وجه "براد" قتامة وظهرت تجعيدة مريرة على فمه وقال :

- مادمت قد تحدثت .. فقد أتينا هنا لهدف محدد على ما أظن. أريني أين تضعين صندوق الإسعافات الطبية ولنر هذه العقب .

نظفها الدكتور "برادشو" ورش عليها بودرة التلك ، ثم لف عليها رباطا ضاغطا بسرعة رهيبة وقال :

- سيتم التغيير على الجرح بعد أربع وعشرين ساعة .

هزت "إيلينا" رأسها علامة :"نعم" .

وفي تلك اللحظة لم تكن سوى مريضة مثلها مثل الباقين وعرفت أن طبيبها سرعان ما سيعود إلى مهامه المتعددة .

الفصل الثامن

كانت "إيلينا" مخدوعة . عند دخولها الشرفة سمعت ضحك "براد" الصافي ، وهو محاط بدائرة من الصغار ... كانت "تيري" وابنها قد عاودا الظهور وسارعا في الاشتراك في لعبة جماعية ، كانت القطة "هاريسون" فيها هي الرهينة ، و"بتسي" الممثلة الأولى . صاح نحو "إيلينا" :

- هانت أخيرا ! نحن ننتظرك من أجل الإفطار ولكن حاولي اختراع طبق لذيذ بسرعة لأننا نموت جوعا . قالت :

- عيش الذرة .. هل هذا يصلح معك ؟

صرخ "باتي" :

- فظيع !

في لحظات كانت قد خلطت المكونات ووضعتها في قالب في الفرن .

www.elromancia.com

أعلنت وهي تجلس بجوارهم :

- عشر دقائق فقط لا أكثر وإلا لفكرنا في التهام القطة نيئة . وحتى يتم ذلك اقترح أن يفعل كل شخص ما بدا له ..

اختفت ثم ظهرت ومعدات الرسم تحت إبطها :

- لا تتحركوا فسارسم لكم "اسكتشا".

قررت في البداية أن ترسمهم في مجموعة حتى تسجل المنظر في الحال بطريقة أفضل ، ثم تحتفظ في ذاكرتها بآثار لحظات سعيدة ونادرة مع الناس الذين يمكن أن يكونوا أسرتها وهي وسطهم .

أحست "إيلينا" بالدموع تصعد إلى عينيها . هل سيكون لها الحق - في يوم ما - أن يكون لها أسرة وبيت هي أيضا ؟ ومع ذلك فهو أمر سهل وطبيعي للغاية .

كم سيكون رائعا أن تواجه الحياة مع رجل وأطفال إلى جوارها. عند إعادة التفكير يستطيع الإنسان أن يعيش بلا ذرية...

لا .. لابد أن تطرد في الحال هذه الأفكار المعذبة وأن تعود إلى الواقع. بذلت جهدا لتركز على الرسم وحاولت أن ترسم صورة "باتي" وقدمتها إلى "تيري" من أجل عيد ميلادها . خطت "إيلينا" بالقلم الرصاص ثلاثة خطوط على الورقة لوجه مستدير ومعبر ولكنها لم تكتف بذلك بعدها دخلت في الظل . ظهر الصغير على الورقة مضحكا بالسويتر الضخم حيث ظهرت رقبته مثل ساق وردة رفيعة وساقاه كانتا برنزيتين تخرجان من أسفل الدائرة وقد ارتدى حذاء ضخما جعله يشبه العفريت المركب على زنبرك . فدخلت "تيري" وهي تنحني عليها بدافع الفضول :

- سأذهب لأسهر على الطعام في الفرن .. هذا على الأقل ما ندين به للفنانة . أليس كذلك يا دكتور ؟

كان "براد" ممددا على النجيل وأسند رأسه على مرفقه ولم يهتم بالإجابة .

أخذت "إيلينا" تعض طرف قلمها الرصاص . كان كل اهتمامها مركزا على "بتسي" . لابد أن تتصرف بسرعة وهي منهمكة وساكنة في تأمل فراشة وإلا كانت البهلوانة ستأخذ في الشقلبة أو الجري وتخرج في الحال من زاوية الرؤية .

كانت الطفلة فاغرة فمها وتشير بأصبعها الصغير نحو فراشة متعددة الألوان .

سحرت الفراشة الفنانة الشابة لحظات . لقد كانت بالنسبة لها رمزا للأشياء الزائلة مثل تلك الابتسامة على فم الطفلة التي ستنمحي في لحظة دون أن تحل محلها ابتسامة مماثلة .

مالت "إيلينا" في تصميم على لوحتها وكأنها تريد أن تسجل هذا الرمز على الورق . نفذت عدة نماذج من المنحنيات وعندما رأت أنها متناسقة ملأتها بأجسام صغيرة تشبه تمثال "بوذا" بحجم ضئيل .

ابتسمت "إيلينا" راضية ورفعت عينيها . لم يبق لها الآن إلا التعبير عن الموضوع الأكثر دقة تاركة الوجه الأساسي للنهاية . كان "براد" شاردا في أفكاره ولا يعيرها أي اهتمام .

كان أمامها وجهه الجاد الجميل ذو الجبهة العريضة والمجعدة من الهموم والانشغال وذقنه المحدد بوضوح وتفاحة آدم تزين رقبته وتتحرك بشكل ظاهر . واختارت أن تبرز هذه الجزئية وبدأت دراستها

حتى يكمل وجهه اللوحة في النهاية .

لقد أرادت تحقيق أحسن شيء في هذه اللوحة فاعطتها كل ما في وسعها وأحسنه . وعبرت عن كل ما يوحي به هذا الوجه المعبر المطبوع بالنبل والفروسية والذي تتوسطه عينان حالمتان . وجدت صعوبة أن ترسم فمه كما تحسه بقوته ورجولته وصراحته خاصة عندما يغلق شفتيه في تصميم مما جعل الدماء تغلي في أوردتها . أخذت تسجل بفرشاتها تقاطيعه بمنتهى الدقة في بطء حتى أوشك الرسم أن يكون حيا .

أحست "إيلينا" بالاضطراب فالقت بدفتر الرسم على العشب .

من حسن الحظ جاءت "تيري" لتشتت ذهنها عن افكارها السوداء . كانت تحمل بيضا مسلوقا ولحما مقددا ومحمرا والفطيرة يتصاعد منها الدخان .

قال "براد" وهو يفرك كفيه :

- حسنا .. بالهناء والشفاء .

أخذ "باتي" يقضم بشهية مفتوحة في فطيرة الذرة وهو سعيد للغاية : لأنه يشارك للمرة الثانية في طعام الإفطار مع الكبار . انتهزت أمه الفرصة كي توبخه :

- عندما تاكل مع الكبار فعلى الأقل لا تستخدم أصابعك .

تأملت الشابة ضيوفها في صمت وأحست فجاة بتقلص في معدتها. قريبا ستعود الجارة إلى بيتها وابنها وستجد نفسها بمفردها مع الرجل الذي لا تغادر عيناه وجهها ابدا .

رأت عينيه مستقرتين عليها دون أن تتمكن من فك اسرارهما . وهل

هي نظرات واعدة أم مهددة ؟

ولكن من أين ياتيها ذلك التشوش الذي يثيرها ويشلها في آن واحد؟ ربما قد تعزوه إلى الجو الخاص لهذا النهار من الصيف : حيث تكون الشمس في أوج شدتها والحدائق مليئة بعبير الأزهار . ما لم يكن السبب هو تلك النسمات الرقيقة والتي تتسلل داخل ملابسها .

زفرت وازاحت الطبق الذي لم تلمسه .

صبت لهم "تيري" القهوة للمرة الثالثة وبدأ الطفلان في الجري فوق الشرفة . واخيرا تعب "باتي" من اللعب وجلس على البلاط وحاول أن يزيح "بتسي" الماكرة التي كانت مصرة على الصعود فوق ظهره . قال "براد" :

- إن لها صفات مميزة وواعدة . إن النساء لا يدعن الرجال في راحة.

انتهز الفرصة ليلقي نظرة ماكرة ذات معنى على "إيلينا" . ثم عقد أصابعه خلف رقبته واخذ يتارجح فوق مقعده وقال هامسا مبتسما :

- إن الشيء الرائع في هذا الوقت هو إحساس المرء انه في إجازة . ثم إنني فعلا في شبه إجازة . لقد نجحت في اقتناص يومين إجازة . وأحس بانهما سيكونان يومين رائعين !

فهمت "إيلينا" النية المستترة خلف كلامه . من الواضح انه يريد أن يقضيهما في صحبتها ، واعترفت في نفسها بان ذلك لن يضرها ، بل إنها تمنت ذلك من وقت بعيد . إن الشابة ستقضي معه ساعات طويلة في النهار وربما استضافته في الليل .

تدخلت "تيري" التي أحست بانها غريبة على المحادثة :

www.elromancia.com

- ما رأيكم في رفع المائدة ؟

نهضوا جميعا ليساعدوها . سالته الجارة :

- هل حسبت ما ستفعله بإجازتك يا دكتور ؟

- لقد قلت لنفسي : إنني أستطيع بعد الظهر أن أصحب هاتين الأنستين في جولة كبرى حول المنطقة .

أشار إلى كل من "إيلينا" و"بتسي" . ثم قال :

- لا شك أن بحيرة "كراتير" تستحق جولة في هذا الموسم . ثم إذا طاوعك قلبك يمكنك الانضمام إلينا يا سيدة "تيري" .

- هذا لطيف منك ولكني لا أحب أن أسير فوق الجبل ، وعلى العكس إذا وافقتما يمكنني العناية بالطفلة عندي وهو أمر حصيف بالنسبة لعملية تزويغ مثل هذه .

همست "إيلينا" :

- هل تظنين ..؟

قال "براد" قاطعا كلامها :

- ولكن بكل سرور . إنه أمر لطيف جدا من جانبك يا "تيري" ثم إنه يجب من حين لآخر على الأم المؤقتة أن تحاول التعود على الانفصال ! أليس كذلك يا آنسة "ماك تريفور" ؟

قالت الجارة التي ستعمل جليسة للطفلة "بتسي" :

- أعدي لها غيارها وسانقلها وبالمناسبة ضعي لها أيضا بيجاما .. من يدري ؟

قال لها "براد" مطمئنا :

- لا تصدعي رأسك . سنعود بالتاكيد قبل منتصف الليل . وسنمر

عليك لنستعيدها قبل النوم . ومن ناحيتي فانا محتاج بشدة للنوم بحيث لن أتمكن من السهر إلى وقت متاخر .

- ليست هناك مشكلة وانت الأدرى على أية حال .

زفرت "إيلينا" وقالت :

- انا متاكدة من انك خططت شيئا آخر من أجل أمسيتك بمناسبة عيد ميلادك يا "تيري" !

- لا شيء على الإطلاق . ففي سني يكون ذلك لا أهمية له لا بالخير ولا بالشر .

# # #

صاحت "إيلينا" :

- ولكنه أزرق !

كانت وجهة نظرها التي تبنتها منذ يوم الخميلة - فكرة رائعة . كانت مياه البحيرة أسفل الخميلة كسطح المرآة وكانها حجر ضخم من اللازورد نقي اللون . أو ما يسمى اللون الصافي وكان مماثلا للون السماء .

إنه جنون ولكن لدي إحساس وكانني في اليونان .

- الا تفكرين في الغوص في تلك المياه ؟ إن ارتفاعها لا يزيد عن خمسة وستين مترا على ما أظن . لابد أن البركان كان ثائرا حتى إنه حفر كل هذه البحيرة . ثم انظري ! هناك على الجزيرة الصغيرة السوداء وكانها خبز السكر . في الحقيقة لقد مرت آلاف السنين على ثورة البركان ومن الأفضل عدم الاقتراب اكثر من ذلك فإن الحمم لازالت تغلي وكانها في انبوبة اختبار .

www.elromancia.com

- هل تخشين أن يستيقظ التنين النائم بداخله ؟

- هذا احتمال ضئيل . على الأقل هذا ما يدعيه العلماء . على العكس فإن شلالات "كلمنجارو" هي التي تحيرهم . وهذا يعني أن أحشاء الأرض لازالت تتصارع .

- وكيف عرفت كل هذا ؟

- لقد قرأته .. ولكن ليست لدي رغبة في إعطاء دروس اليوم وإنما أفضل بوضوح الاستفادة بالمنظر الطبيعي ومن الريف الساحر ... كم هو رائع أن نكون معا .

- لقد مر وقت طويل لم نتحدث فيه بمفردنا .

ظلا يتأملان الطبيعة الخلابة وهما غارقان في أحلام السعادة والسكينة غير عابئين بتجمع السحب في الأفق وعند المنحدرات التي تحت أقدامهما . لم يكن هناك شيء موجود أمامهما . لا الزمن ولا هذا الديكور الإلهي العظيم والمضطرب ولا خطوات المشاة الذين يقطعون الطريق أسفل الجبل . لقد كانا بمفردهما معزولين يفكران في نفسيهما وفي آمالهما ورغباتهما والواقع يهرب أمام سحر اللحظة التي تنغلق عليهما .

نزعتهما من حالة التأمل الفلسفية التي غرقا فيها أصوات وصيحات مرحة قريبة جدا منهما . همس "براد" في أذنها :

- يكفي أن تحدثي النار حتى تحرقك ..

- تعني أن تلتهمني .

ظهر المتسكعون ونعال أحذيتهم تنطبع على الأرضية المغطاة بالحصى . شاهداهم وهم يمرون بجوارهما في صف بالطريقة

الهندية ووجوههم تلمع من العرق . قالت "إيلينا" :

- إن لديهم سببا للقيام بهذا التمرين ويجب أن نفعل مثلهم بدلا من أن نسلك سلوك المراهقين . ما رأيك ؟ الأفضل أن نهبط .

- بالطبع لا .. ليس الآن .. ليس قبل أن أصل إلى السماء السابعة وقد اقتربنا منها .

أصبح لون خدي "إيلينا" أرجوانيا وابتعدت عنه بضع خطوات . وقف "براد" في مكانه وقد دس يديه في جيبي شورته . بينما تأملت هي فجوات الصخور ، وشدت جسدها لأعلى على أطراف قدميها لحظات ، وهي تعتقد رؤية قرني وعل عند القمة الزرقاء . ثم سقطت عيناها إلى أسفل ، حيث الهوة السحيقة التي تسبب الدوار ، ولاحظت ستارة الغمام التي تغطي البحيرة . صاحت :

- تعال لترى يا "براد" ! إن المنظر يشبه السفينة الشبح .. هناك إلى أسفل .. إن القمة فوق الشاطئ تشبه صاري السفينة .

- انا مرتاح حيث مكاني . وليست لدي نية أن اكتب كتابا من أجل السياح .

هزت "إيلينا" كتفيها . لقد كان المنظر جميلا لا يستدعي أن تشرد عنه بهذه التعليقات السخيفة . بدأ الضوء ينسحب ويخبو ويلقي على سفح الجبل والصخور والأكام ظلالا تشبه الفسيفساء ، والريح ترطب الجو ونسمع من حين لآخر وسط السكون ضجة رهيبة تصم الآذان لهبة مفاجئة .

استنشقت الشابة الهواء وملأت رئتيها ، وقررت الانضمام لـ"براد" الذي كان يتأرجح باستمرار فوق صخرته . أخذت تتابع الطريق

الجبلي بنظرها شاخصة نحو الافق . أوشكت أن تصطدم بأحد المشاة لابد أن الرجل وقف من فترة وقد عقد ذراعيه فوق صدره.

عندما تجاوزته فوق الطريق الضيق اعتذرت له "إيلينا" ، وحاولت الا تحتك به في أثناء مرورها . قال لها الغريب هامسا :

- لقد أوشكت أن تقعي بين ذراعي .. أتعرفين أنه من الخطر أن تتجولي بمفردك هنا . يمكنني أن أصحبك بعض الطريق إذا أردت. ما رأيك ؟

- شكرا على عرضك فلا داعي لذلك لأن هناك شخصا في انتظاري .

تأكدت من وجود "براد" فوق منصته الحجرية وأحست بالاطمئنان وهي تتوقع اختفاء ذلك الرجل الضخم خلف شجرة أرز . لو تحول الموقف إلى أن أصبح محرجا فإنه يمكن أن يكون إلى جوارها في بضع قفزات . قال الرجل الغريب وهو يرفع قبعته المضحكة وهو يرى الطبيب يسرع نحوهما :

- أرجو المعذرة أيتها السيدة الصغيرة .. إنني أقول ذلك لأساعدك .. وفي هذه الحالة أتمنى لك رحلة سعيدة .

قالت له "إيلينا" وهي ممتعضة :

- مع السلامة . وأتمنى لك نفس الشيء .

قال "براد" :

- اف ! إنني لا أحب هذا النوع من الأشخاص الذين يتسكعون في الجبال ، ولا يمكن معرفة ما يدور برؤوسهم .. حسنا ربما كان واحدا من الزاهدين .

- نعم لهذا أقدر لك تدخلك . ولاحظ انه كان من الممكن أن أتبعه.

ويمكنك أن تثق بي .

- إن الثقة .. هي شيء رئيسي بين الاثنين .

صمت فترة طويلة قبل أن يستأنف حديثه :

- أنا الذي أحدثك عرفت ذلك بمفردي . مع "لي أن" زوجتي السابقة حتى لا أخفي عليك شيئا . لقد كان كثيرا ما يحدث أن تمثل حتى تخيفني أو تدفعني إلى قمة التوتر . وهي من النوع الذي يقبل دعوات الغرباء حتى تختبرني كما تدعي . وعادة لم تكن الأمور تندفع أكثر من اللازم . وكانت تعتب علي أنني أفتقد روح الدعابة وكان هذا قاسيا علي جدا .

وصلا إلى السيارة . كان قد فضل استعارة سيارة "إيلينا" ؛ لأنها من السهل المناورة بها وسط تقاطعات الطريق الجبلي عن السيارة الـ"ستيشن" ذات اللون الأخضر الزرعي . قال مقترحا وهو يرفض أن يأخذ منها مفاتيح القيادة ويستقر في المقعد المجاور للسائق:

- ما رأيك في اتباع طريق التلاميذ ؟ إن ذلك سيتيح لنا جولة حول البحيرة . وأعرف مقهى وكازينو على الشاطئ الآخر يستحق المشوار .

وافقته بابتسامة وانطلقت في الطريق . قال :

- ليس بهذه السرعة . يجب أن تهدئي منها حتى تستطيعي المناورة مع المنحنيات والصخور التي قد تعترض الطريق .

كان يتوسل إليها وقد مد فمه في حركة مضحكة .

توقفا بعد نصف ساعة في قرية صغيرة تحتوي على مجموعة من المنازل على حافة الماء ، وكأنها قطيع من الغنم تتجمع حول راعيها . وكان المقهى الذي يعتبر استراحة للمتجولين له سحر الرواد الأوائل

www.elromancia.com

للطرق الجبلية بسقفه المصنوع من الواح الخشب ومدخنته الخالية من الدخان . قدموا لهما لحما بقريا سمينا وسط الخضراوات . وجاء كبير الطهاة ليتامل الزبونين وشرح لهما أن وجود جزر مثل الذي قدمه وبهذه النعومة أمر نادر الوجود في هذه المرتفعات . كما كان فخورا بحسائه أما عن طريقة إعداده فهي سر يحتفظ به كما قدم لهما عصير العنب من منتجات مزرعته الخاصة وكان عيب تلك الأكلة والشراب ، هو أنها بالإضافة إلى تعب السير في الجبال سيكون لها تاثير المخدر. قال بجدية :

- يجب أن أكون منتبها لأنني انا الذي سأقود السيارة في طريق العودة . انا أعرف تماما خسائر النعاس في اثناء القيادة ، ويكفي أن أشاهد الجرحى الذين يحضرونهم إلى الطوارئ ...

لم تدهش "إيلينا" من رد فعله . من المؤكد أن "براد" من الأشخاص الذين يمكن الاعتماد عليهم ، إنه يحاول العناية بالناس المسؤول عنهم، وهذه القاعدة في الحياة فرضت عليه من مهنته وهي ايضا ليست بغريبة على أخلاقه وشخصيته . معه يحس المرء بالأمان ، وعلى استعداد لمواجهة المشاكل اليومية تماما كما يواجه الأخطار الكبرى .

عندما أحضروا لهما القهوة كان المساء قد تقدم كثيرا ، وأصبحت قاعة المقهى شبه خالية قالت برقة وهي ترى السكر النباتي يذوب :

- أحب أن أسمعك .. انت مختلف .. هادئ للغاية .. أحيانا .. بينما مع "كيرك" ..

كان الاسم قد خرج من بين شفتيها وأصبح من المستحيل رجوعه . أتت بحركة غير متوقعة جعلت الملعقة تطير من الفنجان . سألها :

- "كيرك" ؟ ولكن من هو ؟ أحد عشاقك ؟

هزت "إيلينا" راسها نفيا وخفضت عينيها نحو قدح القهوة . كان مسلكها يثير الفضول .

- إنني لا أريد أن أقتحم حديقتك السرية ولكن من يراك يحس أن هذا الشخص يحتل جزءاً من حياتك ومن قلبك ..

- يحتل ...

نظرت إليه وكان السؤال يضايقها عندما قال :

- هل كنت متزوجة انت أيضا ؟

- فيم يهمك ماضيّ ؟

ابتسم "براد" ابتسامة شبه متضايقة ثم امسك بيدها في رقة . تابع حديثه :

- على أية حال لو كان هناك خاتم زواج في إصبعك فيما مضى فإنه لم يترك أثرا .

- لماذا تحاول معاودة الهجوم ؟. لماذا لا نضع الأمر بين قوسين على تلك الحكاية التي انتهت ؟ لقد مرت ثلاث سنوات على ذلك وليس لدي ما أقوله .

- لا تحاولي الدفاع عن نفسك . عندما يعاند المرء في وحدته وصمته فإن ذلك عادة ما يكون بسبب أن الجراح لم تندمل بعد . انت في الحقيقة في حاجة للكلام حتى تحسي بالخلاص . ويمكنك أن تبوحي لي بكل شيء خاصة ما يمسك عن قرب .. أريد أن أعرف أعماقك يا "إيلينا" .

- مادمت مصرا .. نعم لقد كنت أنا و"كيرك" زوجة وزوجا . لقد

تلاقيت به بعد وصولي إلى "إنديانا بولس" بفترة وجيزة . كانت سني ثلاثا وعشرين سنة وقد تخرجت في الجامعة واعمل في المكتبة البلدية وقد حضر ليقرأ الصحف . كان مشغولا ببيع المساحات الإعلانية لشركته التي كانت تصدر عدة مجلات . ولما كان كثيرا ما يحضر إلى هناك فقد أخذنا نثرثر معا ، واكتشفت انني لازلت أجهل الكثير عن المدينة ، وبدأ يجعلني أزورها وهكذا الحال فقد كنت لازلت فتاة صغيرة مبهورة وكان أكبر مني سنا وهو ما فتنني به .

- كم من الوقت ظللتما معا ؟

- خمس سنوات .

كان صوتها مجرد همس ، وفهم "براد" أن الأمر كلفها الكثير من الألم في الكشف عن علاقتها ، وأحس فجأة برغبة أن يقول لها : إنه لم يرغب في أن تعاني وتتعذب ، وإنه لم يسع قط إلى انتزاع أسرارها واعترافاتها رغما عنها ، ولكن رغبته في معرفة كل شيء عنها كانت أقوى من إرادته .

- ألا زلت تحبينه ؟

قالت وهي تبتسم في ضعف :

- لا .. حقيقة لم أعد أحبه .. لقد بدا الأمر وكأنه فرغني من الداخل . ولكن في البداية كنت مجنونة بحبه ، وكنت أعيش يوما بيوم انتظارا لعودته ، وبسبب عمله كان يرحل كثيرا وبلا انقطاع ، وكنت أراه فترات نادرة ، ثلاثة أيام في الأسبوع . وأحيانا أقل من ذلك .

- إن هذا النوع من العلاقة ليس واضحا ..

- فعلا ولكن في الفترة الأولى ساعدني في عملي كثيرا . إنه مثالي

في علاج الملل . وبعد ذلك رغبت في تكوين أسرة ولكنه رفض ذلك بلا مراجعة وأفهم الآن السبب . ولكن في تلك الفترة كان يقدم دائما العذر بانني غير قادرة على تربية طفل .

خفضت "إيلينا" عينيها واضطر "براد" أن ينحني نحوها حتى يسمعها .

استأنفت الحديث بصعوبة :

- كنت قد قررت وصممت .. وقلت في نفسي : إنه على أية حال يمكن أن تدوم السعادة بين اثنين وكنت أحمي حبي ؛ لأنني كنت أعتقد أنه سيدوم إلا أنني أدركت في يوم ما أن ذلك ليس سوى وهم وأحسست بالحزن . كان في إحدى رحلاته إلى "سنسناتي" ولأول مرة حاولت الاتصال به في فندقه ولسبب أحمق فقد ربحت الجائزة الكبرى في اليانصيب وكنت أرغب بشدة أن أعلن له الخبر دون انتظار لعودته. لقد خالفت إذن أمره وهو ألا أزعجه أبدا ما لم تكن هناك حالة طارئة وخطيرة . باختصار كنت مقتنعة بأن أمتنع عن الاتصال به عندما سمعت موظفة الاستقبال في الفندق أن اسم الشخص الذي أطلبه لم يظهر قط في أي سجل من سجلات الفندق . وكذلك لم يظهر في أي من موتيلات المدينة عندما استقصيت عنه. وفي الحال تأكدت ..

بللت "إيلينا" شفتيها وركزت عينيها لحظات على وجه "براد" المنتبه.

كانت النادلة في المطعم تحاول ترتيب المقاعد حول الموائد وهي ترمق هذين الزوجين اللذين لا تبدو عليهما نية الرحيل . سألها "براد" :

- وماذا فعلت بعد ذلك ؟

- اتصلت بمكتبه . حاولت سكرتيرته أن تعطيني رقما خطأ حتى لا

www.elromancia.com

أصل إليه . وكان الرقم الذي أعطتني إياه لا صلة له بالرقم الذي معي.. سمعت طفلا يرد علي ، وقال بمنتهى البساطة والبراءة:

- "أبي" ؟ لست أدري إن كان سيحضر هذا المساء . هل تريدين أن تكلمي أمي؟

تقطع صوت الشابة وكان تشنجات البكاء تخنق حلقها . وضع "براد" يده على كتفها وضغط عليه برقة . عندما رآها مضطربة لهذه الدرجة تمنى ان يقول لها الكثير .. ولو كلمة واحدة او حركة واحدة يستطيع بها أن يريحها ويسري عنها .

- هل ضروري أن أستمر؟

شجعها بهزة من رأسه قالت :

- على الطرف الآخر من الخط : قدمت سيدة نفسها على انها زوجة "كيرك" . ولست أدري لماذا لم أضع السماعة في الحال . ولكني اعترضت وصحت في وجهها انها تحتل مكاني . ضحكت في وجهي ولابد انها اعتبرتني مخبولة . اضطررت للسكوت وعرفت من كلامها أن لديها ثلاثة أطفال وكلهم من "كيرك" وأن أصغرهم في الخامسة من عمره والكبير في العاشرة . واضافت أنها سعيدة للغاية وأن علي أن أحاول أن أحذو حذوها .

بدت "إيلينا" مصدومة رغم بعد السنين . كانت يداها ترتجفان بينما أحس "براد" باليأس . كانت غارقة في دموعها . توقعت منه أن يطلب منها أن تكف ولكنه لم يفعل . أكملت :

- في البداية رفضت ان أصدق كل هذا وانهار كل ما بداخلي . لقد جرح حبي وكرامتي وكانت الهواجس تطحنني . وعندما عاد في اليوم التالي إلى البيت اكتفى بان غمرني باللوم : لأنني أزعجت تلك المرأة وليس لي أي حق حسب رأيه في هذا السلوك الأحمق . ثم اتهمني بعد

ذلك أنني حطمت حياته . وكانت هذه هي الضربة القاضية .

قال "براد" :

- السافل ! كان من الواجب عليك أن تقصفي رقبته .

انطلقت "إيلينا" في الضحك رغما عنها وقد أدهشتها انها اعتبرت المأساة التي عاشتها إنما هي مثل الحكاية الهزلية . استأنفت الحديث:

- أعترف بأنني لحظتها لم أفكر في ذلك . كل ما فعلته أنني أغلقت الباب وراءه وللأبد . لقد حصلت على كل أمتعته وبضعة آلاف من الدولارات أيضا . ولكني لم أشده أمام المحاكم لأن ذلك لم يكن يستحق التعب .. وبسرعة اندفعت إلى حياة جديدة حتى أنسى كما يقال .

نهض "براد" والقى بالمنحة على صحن القهوة وخرجا معا وسارا في صمت إلى ساحة انتظار السيارات . سألها في خجل :

- ولكن كيف عشت السنوات الثلاث التي مضت ؟

- إنني لا أريد أن أتذكر سوى الأسبوع الذي قابلتك فيه .

نطقت هذا الرد بطريقة واضحة وقاطعة . همس وهو في حالة من الذهول :

- لابد أن هواء الجبال هو الذي جعلك تقولين هذا وبهذه الطريقة الرومانسية .

- وربما أيضا الطعام والشراب .. وربما البهجة . لتعلم أن جيوب السعادة مزدوجة وهناك أيام تكون من الكبر بحيث يتوه الإنسان فيها.

ابتسم وفتح باب السيارة لها دون أن يفكر على الإطلاق فيما يفعله.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

كان الليل يخفي المنحنيات مما يجعل الطريق اكثر خطورة في النزول عن الصعود . وكان "براد" يقود السيارة بكل تركيز .

ساد الصمت داخل السيارة و"إيلينا" ملتصقة بمقعدها لا تجرؤ على مقاطعة تركيزه . بينما أصابع يديها المتشابكة تتحرك بعصبية وسط الظلام . حركات لا تسيطر عليها . ولكن كلا منهما كان يعرف انه سيتمكن من الإفراج عن عواطفه في القريب العاجل . لقد ظلا محبوسين مدة طويلة في قفص الحياة والمسؤوليات وخيبة الأمال ومحاولة الظهور بمظهر التعقل والحكمة.

مرا لإحضار "بتسي" من عند "تيري" ولم يتاخرا عندها كثيرا ثم حملا الطفلة النائمة إلى حجرة الضيوف واغلقا عليها الباب بسرعة وكانهما لصان يحاولان الانتهاء بسرعة من مهمتهما .

همس "براد" :

- أخيرا أصبحنا في البيت .

أحست بوحشية في نبرة صوته وعندما نظرت إليه سألها :

- ما الذي جرى لك ؟ لماذا تنظرين إلي بهذه الطريقة ؟

بدا تعبير حزين مؤلم على وجهها وتخشب جسدها وكانها تريد الهروب من المحتوم . قالت :

- ابتعد عني من فضلك ! وإلا فإنني لن أستطيع المقاومة .

- "إيلينا" أريد أن أحدثك في أمر مهم .

اتخذ صوته نبرة جادة . همست :

- لست واثقة بأن هذه هي اللحظة المناسبة . يمكنك تأجيل الحديث لوقت آخر .

- لطالما رغبت في هذه اللحظات يا حياتي وصبرت كثيرا حتى لم يعد هناك مجال للصبر .

وقف أمام الشابة مذهولا وهو يكتشف فيها حيوية المراهقة ونضوج الأنثى المجربة . قال :

- إنني أحس بالاضطراب الشديد !

قالت ببساطة :

- أنا أحبك !

- كم أود من صميم قلبي أن أبقى .

- إذن ابق !

فجاة تراجع خطوة وانتصب واقفا :

- لا .. لأن هذا مستحيل .

حدجته في دهشة وعيناها متسعتان :

- ولكن اشرح لي ..

www.elromancia.com

- لو استمررت في عشقك بالطريقة التي أحسها منذ البداية فإنني سأظل واهما ؛ لأنني أوشكت حقا أن أفقد عقلي وجسدي . والأكثر من ذلك أنا لا أريد .. هل سمعت ؟ .. أنا لا أريد أن تعيشي معي مرة ثانية ذلك الكابوس الذي عشته مع الرجل الآخر.

أجابته :

- وهل سبق أن طلبت منك ولو مرة واحدة أن تتزوجني ؟

- لا بالطبع ، ولكني أعرف تماما أنك لن تجعلي حبك ملموسا بغير هذه الطريقة .

- هذا عندما كنت في العشرين من عمري وكنت أعتقد في الحب اعتقادا راسخا . ولكن "كيرك" تكفل تماما بتعديل حكمي على الأمور . إن العاطفة لا تتواءم أبدا مع الصدق والأمانة . واعترف بذلك حتى لو وجدتني ماساوية في هذا الحكم . في الحقيقة فإنني أكتفي بأن أكون عشيقتك وسنخرج معا وتدعوني إلى العشاء في الخارج وإلى الرقص وقضاء ليال رائعة .. أي نقضي ما يسمى باللحظات التي لا تنسى ولنقل : إن لي قيما أخرى .. هل يمكن أن تشاركني فيها ؟

- بكل جوارحي ولكن حياتي معقدة للغاية يا "إيلينا" . هل يمكن أن تفهمي هذا . وعندما أصل إلى عدم رؤية حياتي بوضوح أقول لنفسي أحيانا : إن الحل هو أن أقطع علاقتي حتى لا أسحق من العذاب وقبل فوات الأوان . وحتى لو كنت أحبك بجنون وحتى لو أحسست أنني أموت عشقا .

كانت عيناه الخضراوان تلمعان من الدموع ، تقدمت "إيلينا" منه ثم فجأة كفت عن التقدم.

- في هذه الحالة من المؤكد أنه من الأفضل أن ترحل .

- كيف يمكن أن تقولي لي ذلك فجأة يا "إيلينا"؟ ألن تحاولي أن

تفهمي ؟

- أفهم ؟ ولكن ماذا أفهم ؟ بالعكس إنني أجد الأمور واضحة تماما . أنت تخشى أن تقع في الفخ وتفضل بكل شجاعة أن تهرب . هذا كل ما هناك ولا يوجد ما يضاف إليه .

- أنت مخطئة . ولكن ما فائدة محاولة إقناعك اليوم ؟ لسنا على موجة إرسال واحدة . يا للخسارة !

تأملها "براد" فترة طويلة ثم هز رأسه علامة الإرهاق . ثم دون سابق إنذار سار إلى الباب وخرج بعد أن صفقه وراءه بشدة .

لم تتحرك الشابة ومرت الدقائق دون أن تكف عن التحديق إلى الخشب الذي يكسو المدخل وإلى أكرة الباب النحاسية . أخيرا عندما أعمتها الدموع عن الرؤية جرت إلى الحمام وألقت بملابسها على الأرض ولجأت إلى الدش . نزلت المياه كالشلالات لتغرق أحزانها وإن ظلت الذكريات تجعلها ترتجف .

عندما أصبحت شلالات المياه أكثر برودة أغلقت الصنبور ولفت نفسها في بشكير ناعم .

كتمت نحيبها ، وأخذت تدلك شعرها وخديها وأنفها بكل نشاط ونجحت هذه العملية في وقف الأزمة العصبية التي أصابتها ، عبرت الحجرة التي تستخدمها ورشة بقدمين عاريتين .

كانت لوحات الرسم التي أرت "براد" إياها لاتزال فوق المقعد حيث وضعتها . تركتها الشابة كما هي وجلست على مقعد الرسم الخاص بها . ربطت شريطا كعصابة للرأس ثم أضاءت أحد كشافات الرسم وبدأت العمل في الاسكتشات التي خطتها في أثناء الإفطار . وكومتها فوق مائدة العمل .

عندما اكتشفت "إيلينا" أنها لم تعط "تيري" صورة ابنها "باتي" فقد

قررت أن تفعل ذلك فيما بعد . دست صورة "بنسي" في ظرف وكتبت عنوان "مارجو" ولكن بقية الصور الأخرى والتي تمثل الشخص العزيز الغالي والذي أحست الآن برغبة في التخلص منها وكأنها تتخلص من صاحبها ، وهي تلقي بأجزاء وجهه في سلة المهملات وفي نفس الوقت تتخلص من سلوكه غير المتناسق واللحظات السعيدة التي شاركته فيها .

كانت يدها ستمزق الأوراق وتتلفها للأبد عندما منعت قوة مسيطرة حركتها . لا ، إنها لا تستطيع أن تمزق شيئا وأن تفسد هذه السعادة . إنها تحب هذا الرجل وهي ترغبه وتريده أكثر من أي شيء في العالم وأن تبني مستقبلها معه .

زفرت "إيلينا" وأخذت تداعب براحة يدها رسومها وصورها الحية التي لن يستطيع أحد بعد الآن أن ينتزعها منها . إن تلك الأعمال ستدافع عنها بكل قوتها . إنها ستحافظ عليها كما تحافظ على إنسان عينها . بحركة مفاجئة فتحت درجا ودستها داخله .

من فترة كانت "هاريسون" تدور حول نفسها كالفهد في القفص. وإظهارا لنفاد صبرها ، أخذت تطرق الأرض بذيلها بحركة منتظمة كبندول الساعة ، ثم انتقلت إلى الستائر ، حيث أخذت تمسح شواربها في زجاج نافذة الشرفة الممتد من الجدار للجدار .

زمجرت "إيلينا" :

- حسنا .. يمكنك الخروج ولكن لا تستفيدي من ذلك في التسكع طوال الليل بالخارج .

تبعت القطة إلى الفناء وأدركت أنه رغم تأخر الوقت فإن الهواء كان رائعا للغاية . حركت هبات الريح شعرها وأحست بالرجفة . همس صوت خشن من وسط العتمة :

- هل أنت هناك ؟

برز جسم طويل من تحت مظلة الشرفة وتقدم نحوها ببطء . همست وقد تجمد الدم في عروقها :

- "براد" ؟ هل هذا أنت ؟ ولكن .. لماذا عدت ؟

- في الحقيقة أنا لم أرحل أصلا . لقد ظللت قابعا في سيارتي ثم أخذت أذرع الطريق أمام بيتك ذهابا وإيابا دون أن أتجاسر وأطرق الباب . وسمعت ضجة مياه الدش أيضا وظللت أستمع . لقد كنت عاجزا عن تقرير أي شيء ثم تسكعت وسط الكتلة السكنية . أنا يا "إيلينا".. أنا تعيس .. لم أرغب في أن أسبب لك أي ألم وأقسم على ذلك . والآن ... هل يمكنني الدخول ؟ قولي لي ..

- هل هذا حقا ما تريده ؟

- أكثر من أي شيء آخر ولكن الأمر يرجع إليك . كان ردها الوحيد هو أنها دخلت المنزل والتفتت لتتأكد من أنه يتبعها .

قال لها وهو مبهور أمام فتنتها الطاغية وهي مرتدية قميص النوم:

- أنا سأحبك .. لأن ذلك هو الشيء الوحيد الذي سنفعله . ولأنني أريد أن أمنحك السعادة .

أحست بأن ساقيها لا تقدران على حملها فرفعها في الهواء حيث أخذت ترفس الهواء بساقيها :

- ضعني أرضا .. أنا ثقيلة عليك .

- أنت لا تعرفيني ! هل يتعب عمود الحجر الصوان من حمل ريشة فوقه؟

وضع العملاق بعد ذلك حمله الثمين على الأرض بعد أن اطمأن أنها لن تسقط أو يغمى عليها ، غاب كل ما حولهما ولم يبق سوى رجل

وامرأة تربطهما عاطفة واحدة وانفاسهما متلاحقة وكل منهما يود أن يدخل في أعماق الآخر . انفتح الليل أمامهما ليتوغلا في جنة الحب ، ولينطبق عليهما بعباءته السوداء ويعزلهما عن شرور العالم ومتاعبه وهواجسه .

لم يعد "براد" يشك بعد الآن ولو لحظة واحدة أنها ملكه . لم يعد يفكر إلا في تلك النار التي اشتعلت داخلها وأحس أنها لن تخبو مثل النار المقدسة .. إنها نار الحب . رأى وجهها يتجهم وينقلب فجاة وكأنها تلقت إهانة . لم يفهم سبب هذا التغيير والاستماتة الشديدة في رفض حبه فجاة . حاول أن يسترد انفاسه من شدة الصدمة سألها :

- ولكنك تبكين .. لماذا ؟

صاحت وهي تلتصق به :

- سامحني .. وساعدني .. أنا محتاجة إليك .. إنني أخيب ظنك ... أليس كذلك ؟

- كيف يخطر هذا ببالك ؟ إنني أحبك كثيرا ! ولك كل الحق أن تطلبي مني كل شيء حتى الانتظار أو الابتعاد عنك إذا كان هذا يسعدك . أريد أن تحسي بكامل ثقتك بي .. لا يجب أبدا بعد الآن أن تشعري بالخوف أيتها الفتاة الصغيرة ، أنت تعرفين أن الشيء الوحيد الذي يهمني في الدنيا هو أن أجعلك سعيدة ، وسابذل المستحيل لتحقيق ذلك .

همست :

- علمني هذه السعادة الخاطفة والدائمة .

الفصل العاشر

استسلمت "إيلينا" لهذا الشعور الجديد الذي أحسته بالقرب من "براد" والذي خضعت تماما لإرادته . أحست وهي مستغرقة في النوم بان ريحا خفيفة ودافئة فوق جسمها تبعثر شعرها ثم تزداد عنفا لترفعها في الهواء .

رأت أمام حواسها المضطربة كان هناك شواطئ فسيحة وممتدة تناثرت عليها تلال ووديان إلى مالا نهاية وأن الأمواج العالية تغطي الشاطئ من وقت لآخر .

ابتسم "براد" الجالس شبه ممدد على الأرض بجوار سريرها ورأى على وجهها علامات السعادة والرضا . ظل يتاملها دون ملل . لقد امتنع عن إصدار أي صوت أو الإتيان بأي حركة حتى لا يفزعها ويخرجها من حلمها اللذيذ .

زفرت "إيلينا" وتمطت في كسل فوق فراشها . فتحت عينيها لتلمع

www.elromancia.com

دموع السعادة فيهما :

- أعتقد أن أحدا لم يستطع أن يسعدني مثلك .

- أعتقد انني وجدت الوسيلة لتحقيق ذلك . وكما ترين أن السعادة ليست شيئا صعبا . إنها مجرد الكشف عما تحاولين - جاهدة - إخفاءه .

نظرت إليه نظرات مودة فقال لها :

- احكي لي حكاية الأطفال الذين يخفون السعادة في اعماق جيوبهم حتى لا تطير بسرعة .

عادت الشابة إلى النوم بعمق وظلت هكذا وقتا طويلا وكان "براد" من مكانه يسهر على هذا النعاس الصحي بكل انتباه كالكلب الذي يحرس كنزا .

والآن لابد أن يرحل وان يتركها . وهذا الجهد الذي سيبذله لتحقيق هذا الرحيل يتطلب جهدا فوق قدرة البشر . ولكن ليس أمامه حرية الاختيار إن الرحيل شر لابد منه . بعد دقائق سينهض ويرتدي بسرعة ملابسه ثم يغلق الباب عليها ، ولن يعود إلى تلك الحجرة مرة أخرى حيث لا فائدة ولا أمل في ذلك .

نظر إليها مرة ثانية خلسة . إنها ترقد في هدوء وابتسامة مرتسمة على وجهها . كيف يمكن أن يهجرها وان يحرم نفسه من وجودها ؟ إنه يحبها ومع ذلك سينتزع نفسه منها ليختفي للأبد .

لم يكن يعرف أن أغلى أمنيات "إيلينا" هي أن يكون لها زوج وأبناء . ولكن ماذا يمكن أن يقدمه هو لها ؟ لا شيء .

أبعد خصلة شعر سقطت على الوجه الملائكي . تاوهت وغيرت وضع نومها قال في صوت منخفض :

- "لا .. لا ليس الآن" .

أراد فقط أن يظل معها وقتا أطول .. ربما بضعة أيام فقط .. الوقت الذي تستطيع فيه "مارجو" أن تسترد صحتها وتتمكن من استرداد "بتسي" . بعد ذلك سيستمر في حياته كعهده السابق .. حياته التعسة.. ولن تسمع أبدا عنه بعد ذلك .. همس وهو يحس في عنقه طرف أنف صغير جدا .

- ولكن من هذا ؟ صباح الخير يا جميلتي الوحيدة ! هل أتيت لتقضي معي فترة الضحى ؟

حكت "بتسي" عينيها بقبضتها ونظرت إليه في دهشة . عندما بدأت من قريب في الزمجرة لتعلن عن حضورها كانت "إيلينا" قد نهضت في الحال لتعنى بها . تنهد "براد" وقرص خد الصغيرة برقة حتى يمكن أن تعود إلى مكانها مرة ثانية وعندما ترحل فإنه لن يستطيع أن يؤجل قراره وعليه أن ينفصل عن الشابة .

ولكن من الآن وحتى ذلك الوقت عليه أن يجد منزلا للاستقبال ... لانه يحس أنه كلما مرت الساعات اقتربت ساعة الفراق وأصبح الأمر لا يطاق ، وكأنما الطفلة قرأت أفكاره . وضعت يديها الصغيرتين على وجهه وقبلته قبلة مبللة . ابتسم "براد" واحتضن الطفلة بين ذراعيه ثم أخذ يتقلب فوق الأرضية بها . قال لها :

- هل تلعب "الاستغماية" ؟

دخلت "إيلينا" الحجرة فرفع جسده على مرفقيه وقال :

- أستطيع أن أعتبر نفسي محظوظا .. لقد كان لي الحظ أن أرتاح .. ولست مثل أبي .. تصوري أنني عندما كنت طفلا صغيرا كانت أمي تجبر أبي على النهوض من الفراش للتغيير لي . وإذا لم يتحرك بسرعة كانت تضعني في الفراش معه .

عندما ظلت صامتة مد يده نحوها :

- تعالي اجلسي بجواري ..

ظلت ثابتة وخفضت عينيها . قال في إصرار وهو ممسك برسغها ويرفع يدها إلى فمه :

- إنني في حاجة لأن أحس بك . أنا أحبك يا "إيلينا" اليوم أكثر من الأمس . وأريد منك أن تعلمي كم أود أن أعيش معك .

ثم أضاف بلهجة مرحة :

- مادمنا مسؤولين عن "بتسي" أعتقد أنه من الأفضل ألا يبتعد كل منا عن الآخر . وهذا يعني بوضوح أن عليك أن تتحملي وجودي .

قالت أخيرا وهي تطلق زفرة خبيثة :

- الأمر لا بأس به مادمت فهمته .

"على الأقل هذا سيتيح لي وقتا للتأهيل" . دارت هذه الفكرة المرعبة في رأس "إيلينا" وهي ذاهبة إلى المستشفى لتأخذ "مارجو" وتعود بها للبيت . كانت العدوى والتلوث قد انتهيا ولكن الأم الصغيرة لازالت ضعيفة ومحبطة ، لقد رفضت أن تعاود الاتصال بأسرتها وأبدت رغبتها أن تقضي فترة النقاهة عند "إيلينا" التي كانت من الكرم بحيث اعتنت بابنتها .

قبلت "إيلينا" عن طيب خاطر استقبالها . لقد مرت عشرة أيام منذ اقترح عليها "براد" عدم قطع علاقتهما بادعاء أن ذلك بسبب "بتسي" ، ولكنها لم تنخدع وقد إستغلت هي نفسها هذه الحجة لتراه أكثر وقت ممكن وكلما أراد ذلك .

أوقفت الشابة سيارتها عند إشارة حمراء ونظرت في شرود إلى المارة الذين يعبرون الميدان ، ظهر أمام ذاكرتها ودون إرادتها مشهد مؤلم لم يمض عليه وقت طويل قبل زيارة "براد" لها ، ووجدها تستخدم المكنسة الكهربائية . كانت الطفلة نائمة وكان قد قرر أن يساعدها

انتظارا لاستيقاظها . ولكن الخطة انتهت بسرعة أكثر من المتوقع على عتبة حجرتها عندما نظر إليها .

ووجد في عمق عينيها ألاما رهيبة دفعتها لأن تصرخ في يأس . علم ساعتها أن هذه آخر لحظات يتبادلان فيها الحب لآخر مرة .

سمعت صوت بوق سيارة نافد الصبر جعلها تنطلق كالصاروخ . وبعد دقائق صفت "إيلينا" سيارتها في ساحة انتظار السيارات أمام المستشفى وسط المركز الطبي .

كانت "مارجو" في انتظارها في الاستقبال واتجهت "إيلينا" نحوها بطريقة فورية وغريزية دون أن يسبق لها أن رأتها من قبل إلا أنها كانت ستراها وتتعرف عليها من بين ألف امرأة بسبب الشبه المذهل بينها وبين "بتسي" نفس الشعر الأشقر المجعد ، ونفس العينين الواسعتين الزرقاوين اللتين تحتلان نصف الوجه . عند رؤيتها لهذه الشابة الضعيفة الهشة بمظهر الطفولة المشرقة ، لم تستطع سوى أن تحبها ، قامت الشابة المحسنة باحتضان المريضة وطبع قبلة على خديها قائلة :

- هيا بنا بسرعة ! هناك شيطانة صغيرة ستقفز فرحا عندما تراك .

بعد ربع ساعة عبرتا بوابة السور المحيط بالحديقة قالت "إيلينا" لضيفتها :

- ادخلي .. أنت الآن في بيتك .

شكرتها "مارجو" بابتسامة ولكن في الحال سقطت دموعها مدرارا عندما دخلتا الصالون ورأت كتلة اللحم الشيطانية وهي تتقافز فوق السجادة وتتبعها قطة رزينة كحارسة لها .

- إنها تسير .. ! إنها تسير بمفردها ! ولكن هذا ظلم بين ! لماذا لم أكن موجودة عندما خطت أولى خطواتها ؟ إنني لن أسامح نفسي أبدا!

www.elromancia.com

- لا داعي لأن تضعي نفسك في هذه الحالة ! لقد رتبت اموري بحيث تشاهدين كل ما مر في حياة صغيرتك ويكفي فقط أن أشغل الفيديو .

كان الفيلم القصير تحفة من الحياة والضحك والمرح . في كل مشهد كانت "بتسي" تظهر بثوب جديد وكانها تحب مهنة عارضة الأزياء وعندما انتهى الشريط أعادته "إيلينا" بالتصوير البطيء وكانها تريد أن تبرز كل حركات الممثلة الصغيرة وهي فوق العشب. ولكنها عندما رأت "براد" في السهل الكبير وهو يحمل "بتسي" على كتفيه زادت السرعة بطريقة وحشية حتى نهاية الشريط .

وضعت "مارجو" كفيها على خديها وبدت وكانها لا تصدق كل هذه السعادة . قالت "إيلينا" :

- هيا بنا لانني اعتقد انه حان وقت النوم ، لابد أن كل هذه الانفعالات قد ارهقتك ، تعالي من هنا .

نامت الأم والطفلة في الحال وقد ضمت كل منهما الأخرى في أحضانها ، وهما في فراشهما الدافئ ، عندما رأتهما الشابة معا أحست فجاة بحزن وشجن . ليس لها مكان وسط هذا الحنان لقد طردت من هذا العالم واحست بالأسى . وكانها بطة عرجاء معزولة عن بقية القطيع .

وعندما أغلقت الباب عليهما تساءلت مرة ثانية : هل سياتي يوم تنال فيه فرصة معرفة مباهج الأمومة ؟

بقيت "مارجو" معها أسبوعا واستردت بسرعة قواها . وسعدت "إيلينا" بذلك حتى وإن كان وجود الناقهة حرمها من الانفراد بـ"براد" وإن ظل منتظما في الحضور لمعرفة الأخبار وفي صباح أحد الأيام ساعة الإفطار أعلنت "مارجو" بصفة نهائية أنها أعادت التفكير وأنها تنوي الاتصال بوالديها . كانت الأمور تجري بسرعة . فمنذ بداية

فترة ما بعد الظهر وصل زوجان ساحران أمام باب البيت . وقد ذهلا افتتانا أمام حفيدتهما وكانا حتى الآن يرفضان الاعتراف بانهما سامحا "مارجو" .

وبعد الدموع والضحكات جمعا حاجيات الطفلة وانطلقا في ملحمة الشكر ثم فجاة اختفى الأربعة في الشارع وقد تشابكت أذرعهم و"بتسي" معلقة برقبة جدها .

أخذت "إيلينا" وهي محطمة تذرع البيت الخالي والصامت . إنها وحيدة .. كل الناس هجروها . لم يعد هناك زغردة وقلب للبيت ولا شيء سوى الحياة العادية المقسمة بين العمل والوحدة .

لم يعد هناك سوى السرير المنطبق والمقعد العالي وسارعت الشابة بمحو آثاره . جمعت كل شيء ووضعت الأشياء غير المستعملة في الفناء ولن يتاخر "براد" في نقلها .

لابد لها باي ثمن أن تنشط حتى لا تغرق في هذا الحزن الذي يتغلغل داخلها مثل المياه التي تتسرب إلى داخل السفينة الغارقة .

دخلت ورشتها وفتحت الطرد الذي أرسله لها ناشرها . كان الأمر يتعلق بطلب قيامها برسم الكتب الثلاثة الأولى من مجموعة جديدة مخصصة للأطفال من سن ثلاث إلى عشر سنوات . وكانت النصوص لا تتجاوز أربعة أسطر في كل صفحة مكتوبة بشكل جيد . وكان أحدها يحكي تاريخ واحدة اسمها "جوليا" وأختها الملعونة .

عندما قرأت "إيلينا" النص فكرت بإلحاح في "بتسي" و"باتي" . لقد عثرت بسهولة على النموذج الذي يناسب الشخصيات التي ستستخدمها في رسم الحكاية .

إنها ستنهمك في هذا العمل الذي سينسيها قسوة الواقع . أعدت فرشاتها وصبت زجاجات ألوان الجواش في الإناء الخاص بها . وفي

www.elromancia.com

الحال بدأت ترسم شخصية "بتسي" و "باتي" اللذين ظهرا في منظر البداية وهما يقومان بتفريغ محتويات أدراج الكومودينو وهما يشبان على أطراف أقدامهما .

بعد ذلك تبعت تعليمات المؤلف ركزت على الأب المهرج الذي كان يهتز على مقعد هزاز وهو يسهر على نوم طفلة . كانت "إيلينا" ترسم وكأنها أصابتها الحمى . رسمت ساقين رفيعتين تبرزان من الشورت وجذعا قويا وكتفين عريضتين ويدين ناعمتين جميلتين ووجها له تقاطيع نبيلة تحت تاج من الشعر المجعد ثم انهمكت في رسم العينين الواسعتين الخضراوين .

رفعت الورقة نحو النور وبحركة زائدة العصبية ألقت بها على الأرض . كان واضحا أن الرجل الذي في الرسم لا صلة له بالرجل الموصوف في الحكاية . قررت أن تعيد الرسم في الحال وألا تتبع خيالها الذي شطح بها بعيدا عن مسار القصة .

وعندما رفعت رأسها بعد فترة طرقت الشابة بعينيها وقد أذتهما حرارة الشمس التي دخلت أشعتها كالطوفان إلى الحجرة .

كانت الأرضية مغطاة بالأوراق المكرمشة بسبب عدم رضاها عن الكثير من رسوماتها . ولكنها استطاعت في النهاية الوصول إلى نتيجة ولم يعد لديها النية أن تعدل في الرسومات التي أمامها . كانت متعبة للغاية حتى تبدأ من جديد ورأت أن الناشر لن يرضى تماما عما أنجزته إن لم يحاول العثور على فنان آخر .

زفرت الفنانة الشابة وظلت فترة وهي تدور بمقعدها الدوار . كفت في الحال عن حركتها عندما رن جرس الباب وسارت نحو الباب وقلبها مضطرب ويدق بعنف حتى أوشك أن ينفجر ، تجمدت أصابعها فجأة.

لم تسمع صوت السيارة الـ"ستيشن" ولا صوت صرير البوابة

الحديدية . وأحس "براد" بذلك في الحال وهو يرى وجهها وقد كساه الذهول .

قال :

- لقد نعست في شرفتك بعد انتهاء ورديتي . ولكن لدي إحساس بأنك لم تنامي وقتا كافيا أنت أيضا . يبدو عليك الإرهاق.

- يمكن أن تقول : إنها ليلة بيضاء ..

- أرجو ألا أكون قد أثقلت عليك كثيرا ؟

قالت وهي شاردة :

- لا .. ادخل !

- أتدرين أن هناك فوضى في الشرفة بسبب تلك الأشياء التي كومتها فيها ؟

- ربما .. ولكن هذه هي الطريقة الأسهل فلابد من التخلص منها في يوم من الأيام . ولنقل : إنني نبذت الماضي ...

- أتظنين حقا أن كل شيء انتهى ؟ وإذا ما حدث في يوم من الأيام أن اجتاحتني رغبة في الحضور إليك لأراك ولو دقيقة ..

- من الأفضل ألا تحضر .. اذهب .

صرخت وقد امتلأت عيناها بالدموع .

- هل تريدين حقا أن تحرميني من هذه المتعة ؟

كان "براد" قد شحب بينما زاد مظهر التعب على وجهه في شكل تجاعيد ودوائر حول عينيه قال :

- إنني في حاجة ماسة لمن يسري عني .. إن الحياة شنيعة في المستشفى . لم يستطع أحد أن يفعل شيئا لهم .. عائلة كاملة انقلبت بواسطة سائق أرعن لديه ثلاثة أولاد وأثبت التحليل لدمه عن وجود كحول .. لقد ماتوا جميعا ! هل سمعت ؟ عدا أصغر الأطفال وهي

صبية في الرابعة من عمرها وأصبحت الآن يتيمة .

إنها لم تعرف الخبر بعد ولا أجرؤ على العودة إلى هناك لانني أخشى جدا من النظر إليها .

- طبعا ستذهب .. لابد أن تعود إلى هناك وستمسك بزمام الأمور . إنني أثق بك ، أنت شخص كله إنسانية وهو ما يجعلني فخورا بك ، ربت شعرها ثم همس :

- شكرا .. بدونك سافقد كل شجاعتي .

عندما رحل "براد" لم تره الشابة طوال أسبوع كامل ، ولكنها كانت واثقة بانه سيعود ، لقد أصبحت فترات غيابه تزداد قصرا مع مرور الأيام ، وصارت لحظات لقاءاتهما الحميمة أكثر روعة . لم تكن تطلب أكثر من ذلك وإنما كانت فقط تتمنى أن تستمر في رؤيته ولو فترات قصيرة . إن هذا الوقت القصير أصبح غاليا عندها وعندما كان يلغي واحدا من مواعيده أو عندما يقاطعه صوت "التوكي ووكي" كانت الشابة تجلس أمام مائدة الرسم وتنهمك في العمل لدرجة الإغماء .

كانت ترسم بهيستيريا وكان الوحي يجعلها تعمل ساعات طويلة تحت ضوء كشاف الرسم .

في هذا المكان المضيء الذي يعطي الألوان بريقا لا معا وحيا . وكانت الشخصيات الصغيرة تمتلئ حياة تحت فرشاتها وتنضم كل منها إلى الأخرى حتى تزدحم الصفحات بها .

لقد استطاعت بسرعة أن تنهي المجموعة وتلقت في الحال طلبية جديدة . وكان الناشر راضيا جدا عنها واقترح على الشابة أن تغادر "نيويورك" لتنضم إلى فريقه من الرسامين وصانعي النماذج وكانت الترقية مغرية والأجر مرتفعا بالتبعية .

طلبت "إيلينا" ثماني واربعين ساعة للتفكير ولكنها عندما سمعت

الصبية الذين يلعبون في الحديقة المجاورة وعندما القت نظرة على منطقة الأعشاب البرية التي تحبها كثيرا قالت في نفسها : إن العرض لا يساوي هذه التضحية وحررت له خطاب الاعتذار وفكرت وهي تضع الخطاب في الظرف وتغلقه انه ربما هناك أسباب أخرى لاختيارها وأن رنات الجرس من أن لآخر اصبحت بالنسبة لها ضرورية وأحيانا يحدث أن تسارع إلى الباب بدون طائل وهي تتصور أنها سمعت الجرس يرن ثم تبتسم وهي تشعر بالخيبة وتلعن افكارها التي تدور داخل عقلها وتفقدها توازنها .

وفي يوم جرت كالعادة إلى المدخل وهذه المرة لم يكن إنذارا خاطئا . كان "براد" يبتسم لها وانحنى ليطبع قبلة على جبينها : قالت له بجفاء:

- لا .. اجلس لابد أن أتحدث معك .

أطاعها ونظر إليها في حيرة وقال :

- إنني منصت لك ..

- لقد اخبرتني في يوم ما .. حسنا .. أن علاقتنا لم تعد تكفي. هل اثقل عليك بشيء ؟ أريد أن أعرف مشروعاتك . أريد أن أعرف أي مكان احتله في قلبك . وهل هذا المكان يستحق أن انتظر؟ لاننا لو ظللنا نلتقي بهذه الطريقة فإنني سانتهي بالملل . وساستعيد حريتي .

وربما التقيت بالرجل الذي يستطيع أن يسعدني وليس لك أن تلومني إن فعلت .. واعتقد أن هذا الأمر يستحق منك التفكير فيه .

فتح "براد" فمه وظل صامتا وقد تغيرت ملامح وجهه . كان ينظر إليها بعينين مجنونتين ثم نهض ببطء وخرج . اخذت "إيلينا" تبحث عنه بنظراتها فترة طويلة فوق الشرفة قبل أن تعود إلى حجرة الصالون ، وقد أحست بغصة في حلقها . لقد غامرت في جنون وهي

ليست واثقة بأن هذا العمل سينجح هذه المرة ، في أن يبعدها عما يشغل بالها .

حاولت الشابة أن تجد بسرعة علاجا لهواجسها . انضمت إلى نادي الألعاب الرياضية وتلقت دروسا في الكمبيوتر . لم تكن أعمال الكمبيوتر تسحرها حقا ولكنها على الأقل التقت باناس آخرين وكان معظمهم من الرجال ودعاها اثنان منهم في إحدى الأمسيات لتناول العشاء بالخارج وذهبت بكل سرور .

كانت ليلة مودة وقضت الشابة لحظات مقبولة في الثرثرة في موضوعات أخرى يتخللها الضحك على فكاهاتهما . وقد اعتبرت تلك الأمسية كشعاع شمس في حياتها الباردة .

مر شهر ثم آخر وبدأ الجو يمطر والسماء تحولت إلى اللون الرمادي وكذلك المنازل ، وناسب هذا اللون افكارها . تصورته وهو في المستشفى وهو يرتدي معطفه الأبيض غير المقفول وسماعة الكشف في يده وهو منحن على فراش الجرحى ، ويمسك بأكتافهم ولديه أمل مجنون الا يموتوا . وعندما يخسر رهانه المجنون ضد الموت يظهر شخص ما ربما يكون زميلا له أو صديقا ليستمع إليه ويطرد افكاره السوداء . وهل يستمع هو ايضا لكلامهم سمعت - هي شاردة في افكارها - رنين الباب ولكن خلف بابها لم تجد سوى الفراغ .

وفي أحيان وصل الحد بـ"إيلينا" إلى كراهية نفسها لأنها تصرفت معه بهذه الطريقة ، وعندما صفعته في وجهه باسئلتها .. بعدها قضت ليالي طويلة وهي تتقلب في فراشها أو تحوم حول التليفون تحاول أن تقنع نفسها بالاتصال به وأن تسمع صوته وهو يقول لها : إنه بخير ولكن لابد أنه بخير وإلا لحضر لاجئا إليها .

لم يعد في حياتها سوى ضجيج المياه وهي تطرق الزجاج ، أو

صوت محرك سيارة تمر دون أن تقف . أخذت الشابة تحوم حول نفسها في الحجرة الفسيحة ، أو تجلس دون حركة وقد أحست فجأة أنها اصبحت عجوزا ، وعندما تقفز القطة "هاريسون" على ركبتيها فإنها تزيحها بحركة متعبة .

ثم في صباح يوم من الأيام رن جرس الباب وسمعت نبرة مرحة تنادي . نزعت نفسها من فوق السرير وجرت نحو الباب تفتحه وهي تصيح :

- "براد"

- يا حبي .. أنا محتاج إليك جدا !

- وأنا كذلك .. إنه جنون .. إنني لا أريد بعد الآن أن ترحل كما فعلت في المرة السابقة . لقد كانت غلطتي .. لم أعرف كيف أحتفظ بك . ولكني الآن سأكون موجودة هنا عندما ترغب في أن تحدثني أو ..

قال بلهجة أراد أن تبدو مرحة :

- لقد انتظرت أن تقولي لي ذلك . اتعرفين بالضبط أنك تصلحين زوجة كاملة يا "إيلينا" ؟ إنني اسالك بجدية : هل ترغبين أن تصبحي زوجتي؟

شحب وجهها واتسعت حدقتا عينيها وأحست بأن قلبها ينتفض داخل صدرها . فسالته وهي تبتسم في خجل :

- اعتقد انه ليس لي الحق إلا في إجابة واحدة : نعم .

همس :

- أعدك أن أحقق لك كل رغباتك . سنعيش معا وللأبد . على الأقل عليك أن تتحملي تقلبات مزاجي كطبيب .

- إنني اتقبل كل المخاطر . بالعكس لابد أن تاتي أولا لترى إن كنت تستطيع تحقيق أول حلم .

القى عليها "براد" نظرة متسائلة وتركها تقوده من يده إلى الورشة.

حلت "إيلينا" الخيط الذي كانت تربط به مجموعة رسوماتها ، وأخرجت ورقة من الحجم الكبير ، كان الرسم الذي يملأ كل المساحة يمثل طفلا لا يُرى له وجه وبدا انه يزرع ثمرة كمثرى وسط العشب ، بينما والداه كل منهما يقف على أحد جانبيه ، كان الأب ضخما عريضا ذا عينين خضراوين لامعتين أما عينا الأم فكانتا بلون ازرق مائل إلى الرمادي وتمسك بـ"بالتة" الألوان على ذراعها . همست "إيلينا" :

- هكذا تصورت عائلة "برادشو" .

- ربما نصنع عائلة افضل منها في الواقع .

تمت

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة